الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
... - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٦٤ الخميس ٢٣ المحرم ١٣٨٤ هـ - ٤ يونيه ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

ابن البلد

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كان الناس أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل يطلقون عبارة « الثلاثة الكبار » على كل من روزفلت وتشرشل وستالين .

وكانت الأسباب كافية فى اطلاق هذه التسمية فقد كان هؤلاء يقفون فى جانب ، ويقف كل من هتلر وموسيلينى فى جانب آخر . وكان الثلاثة الأولون يعلنون فى كل لحظة أنهم انما يعملون فى سبيل القضاء على الاثنين الآخرين وتخليص العالم الحر من شرورهم . ومن هنا كان الناس ينظرون اليهم على أنهم من المنقذين ، **وكانوا كلما اجتمعوا او اجتمع مندوبوهم لأمر من الأمور ، انتظر الناس ما ينتهون اليه من امر بفارغ الصبر . انهم فى عرف الجميع الذين يملكون مقدرات العالم ، والذين يستطيعون توجيه العالم الى حيث تكون العواقب السليمة والنتائج المحمودة .**

وكان الى جانب هؤلاء الثلاثة الكبار ثلاثة آخرون **كنت اعدهم انا ، على اقل تقدير ، من الكبار . بل كنت اعتز بهم ، وافخر باعمالهم ، واراهم اقرب الى نفسى ، والى اهلى وعشيرتى من الأولين .**

كان هؤلاء الثلاثة نتاج البيئة المصرية الخالصة . **انتجهم الفكر المصرى ، وانبتهم نباتا حسنا ، فاينعوا ، واثمروا ، وافادت الوطنية والقومية ، والفكر السياسى من مجهوداتهم .**

كان هؤلاء الثلاثة من أقدر المصريين على فهم الواقع المصرى ، ومن أكثر المصريين شجاعة على

تحمل التبعات والمسئوليات . كانوا يجابهون الواقع ويقولون كلمة الحق في الوقت الذي يتهرب فيه الكثيرون من مجابهة الواقع وتحمل التبعات والمسئوليات .

كانوا يمارسون الحرية لأنهم احرار ، وينقدون السلطات الحاكمة لأنهم شجعان ، ويناضلون المستعمر ، ويدعونه الى الوقوف عند حده والخروج من ديارهم لأنهم مواطنون احرار .

هؤلاء الثلاثة هم : ابن البلد ، والمصري افندى ، وملحوس المصور .

لقد حزنت حزنا شديدا لاختفائهم من حياتنا، فلقد كنت انظر اليهم على انهم من رواد الفكر في كل قطاع من قطاعات الحياة .

لقد كنت اهتدى بهديهم في كثير من المسائل ، ولقد كانت الحقيقة تجرى على ألسنتهم في عبارة عامية ، أو في نكتة لاذعة ، أو في مثل سائر ، فيعرف الناس جميعا الحقيقة ، ويدركون تفصيلات الموقف ، في الوقت الذي يغلف فيه غيرهم الحقيقة بأوراق فضية لامعة تجذب انتباه الناس وتصرفهم عن الحقيقة التي يجب أن يعرفها الناس .

لقد كان ملحوس المصور مثلا يقول كل ما يريد ، ويدرك عنه الناس ما يريد ـ دون خوف او وجل ودون نفاق او محاباه ـ يقول كل ذلك لأنه ملحوس. اما غيره فيخشى ويخاف ، ويجامل وينافق ، ويصمت عن قول الحق ويكتم الشهادة . يفعل ذلك لأنه عاقل ، ويتمثل لأنه عاقل بالأمثلة المعروفة ـ من خاف سلم . وخليك عاقل . اتق غضبة السلطان . وما اشبه .

لقد أحببت هؤلاء الثلاثة ، ولقد حزنت حقا لاختفائهم من حياتنا الفكرية .

واليوم اعود واطالب بأن يعودوا الينا سالمين غانمين .

اطالب بأن تكون عودتهم في ثياب أخرى غير التي كانوا فيها من قبل . **ثياب تلائم مهامهم الجديدة ، ومسئولياتهم في هذا العصر الثورى .**

اطالب بأن يعودوا ليحدثوا تنمية ثقافية في مجتمعنا الريفي ـ ذلك المجتمع الذى لا يشعر باحتياجاته الا **ابن البلد ، والمصري افندى ، وملحوس المصور .**

اطالب بأن يعود ابن البلد في شكل مجلة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة ، وتعالج مشكلات الريف وقضاياه ، وتحدث دورة فكرية فيما بين المدينة والقرية ، وفيما بين المجتمع القومي والمجتمع المحلى ، وتقرب المسافات الفكرية فيما بين المواطنين، وتجعل الثقافة العربية القومية ارثا مشتركا لجميع المواطنين .

واريد من هذه المجلة أن تكتب بأقلام أبناء الريف المقيمين في المدينة ، وبأقلام أبناء الريف الموجودين في الريف .

واريد منها أن **تكشف عن حقيقة الحياة في المجتمع الريفي** ، وأن تقترح الأفكار الجديدة التي ترفع من مستوى هذه الحياة وتجعلها أقرب ما تكون الى الحضارة العلمية .

واريد منها أن تتلقى الأسئلة من المجتمع الريفي، وأن تدرك اهتمامات الناس في الريف عن طريق الأسئلة ، وأن تجعل الاجابة عن هذه الأسئلة هدفا من الأهداف التي تحقق التنمية الثقافية في هذه المجتمعات الريفية .

أريد من ابن البلد أن يدرك عمله في هذا المجال الحيوى على أنه ابن البلد ، الذى يهمه ـ أكثر من غيره ـ أمر هذا البلد .

واريد من المصرى افندى أن يهبط الريف . يهبطه مثقفا عن طريق المسرح البسيط .

أريد منه أن يدرك أن الأراجوز من خير الوسائل التي تحدث التنمية الثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية .

أريد منه أن يحمل مسرحه على ظهره ، وأن يطوف القرى ليعرض التمثيليات التي تكتب خصيصا للقرى .

ان أهالى الريف يخرجون الى مزارعهم في الصباح ولا يعودون اليها الا في المساء . ولا يبقى في القرية عادة الا النساء والأطفال ، والا العجزة ومن يعدون أنفسهم من الأعيان .

ان مسرح الأراجوز يستطيع ان يرفه عن هؤلاء ، وان يقدم لهم المسرحية الحية التي تعالج مشكلاتهم الخاصة ، والأغنية الطريفة التي تستطيع ان تقدم لهم قيمة فنية ، او قيمة ثقافية .

ان مسرح الأراجوز يستطيع أن يحدث دورة فكرية في القرية ويلقح المرأة والفتاة ، والرجل والطفل بالأفكار الجديدة .

ان الذين يشاهدون هذه التمثيليات التي تستغرق تمثيل الواحدة منها دقائق معدودات، يستطيعون حفظ ما ورد فيها عن ظهر قلب ، ويستطيعون قص ما ورد فيها على من لم يستمع اليها أو يشاهدها .

ان النساء والأطفال يساعدون مسرح الأراجوز في تلقيح الكبار ، من الرجال الذين يعملون في

المعقول ، على تحقيق كل ما يعمل من أجله من تنمية ثقافية ، ومعالجة مسائل اجتماعية .

يجب أن نتدبر فى الأمر ، وأن نقذف بمسرح الأراجوز الى الريف ، وأن نعتمد عليه فى تحقيق كثير من الأهداف .

ويبقى بعد ذلك الملحوس . انه رسول المجلة ومسرح الأراجوز الى السلطات الحاكمة ـ انه الذى يجب أن يقول كلمة الحق فيما يحق للمجلة والمسرح أو لابن البلد والمصرى أفندى من حق .

ان هذين يقومان بالعمل وهو الذى يتولى عمليات التخطيط وتجهيز الأموال ، ومجابهة السلطات فى كل أمر ذى بال .

انه لن يخشى أو يخاف ، وانه لن يجامل أو ينافق . انه سيكون أكثر من غيره شجاعة لأنه ملحوس ، ولأن غيره من العقلاء .

كلمات

ان الجهل حصن مزعوم لايلجا للاحتماء به عاقل . أما العلم فهو حصن منيع يهب صاحبه قوة الايمان ، وقوة الدفاع ، وقوة الهجوم . وشتان بين الحصنين .

ليس من المجد فى شىء ان تولد من دم نبيل عندما تحيا حياة الأندال .

لا ... لا ... ان الميلاد ليس بشىء ، ما دامت فضيلة النفس معدومه .

ليست العدالة الاجتماعيه مجرد تنازلات أو تعاون بين أصحاب العمل بنظمه تشريع اجتماعى لاحق وانما هى طرح جديد للمشكله ، انطلاقا من الاكثرية الساحقه ، ويهدف الى اقرار التعادل فى الحظ لكل البشر كى يحققوا ذواتهم بأن يضعوا انفسهم فى خدمة المجموع .

ان العدالة الاجتماعيه تهتم قبل كل شىء بحل مشاكل الجميع ـ لا مشاكل أقلية معينه .

ان تطوير الريف والعمل على ارتقائه يتطلب تعبئة الموارد المحليه من بشرية وماديه ـ ثم الاستفادة منها الى أقصى حد . وهذا بدوره يتطلب ضرورة اشراك الشعب فى منهج التطوير حتى يصبح تكوينه وتقويته من المسئوليات المباشره التى يتكفل بها ممثلو الشعب انفسهم ..

ومن ناحية أخرى فان مراكز الاعلام فى المنطقة تستطيع ان تصبح مصدرا نافعا لنشر بذور المعرفة، وخلق الجو الملائم للتعاون الشعبى .

وليس يكفى ان يكون مركز الاعلام عبارة عن غرفة للقراءة بجوارها مكتبه ـ وانما يجب ان يكون مركزا للنشاط الثقافى كله .

ان التغير المفاجىء فى نظام الحياة ثم عدم ادراك الناس فى الوقت نفسه لهذا الجديد ادراكا كاملا فى كل ابعاده ، يجعلهم يقبلون على هذا الجديد تحت الضرورة لكنهم فى واقع الامر انما يتعاملون معه دون معرفة فيسلكون حياله نفس السلوك القديم ، ويصبح من العسير عليهم فى مثل هذه الحالة ادراك العلاقات الجديده التى نشأت عن قيام الظواهر الحديثه .

ان هذا التطور الخاطىء للحقيقة الجديدة هو الذى يؤدى الى الأزمات النفسيه والخلقيه التى تزيد من التوترات فى المجتمع .

ان فلسفة العمل الوطنى يجب ان تصل الى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات . بل ويجب ان تصل اليهم بالطريقة الاكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم .

ان ذلك يكفل دائما ان يكون الفكر على اتصال بالتجربه ، وان سيكون الراى النظرى على اتصال بالتطبيق التجريبى .

ان الوضوح الفكرى اكبر ما يساعد على نجاح التجربة ، كما ان التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبه تؤثر فى الواقع وتتاثر به ، ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق امكانيات أكبر لتحقيق النجاح .

وانه لمن ألزم الامور هنا تشجيع الكلمة المكتوبه لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل ، كما أنها تستكمل حلقة هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربه .

انه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ان يكتبوا افكارهم لتكون امام المسئولين عن التنفيذ ، كذلك من الضرورى تشجيع كل القائمين بالتنفيذ ان يكتبوا ملاحظاتهم لتكون امام المسئولين عن التوجيه .

ان ذلك أمرا لايمكن أن يترك للصدفة أو الارتجال وانما ينبغى تنظيمه . ان تنظيمه سوف يوفر للعمل الوطنى ذخيرة هائلة بغير حدود لآفاق الفكر ممتزجة بدقائق التنفيذ العملى . ان هذه الذخيرة سوف تسهم فى رفع رصيد الكفاية الوطنية وتعميم نطاق الاستفادة بها .

دكتور
محمد احمد خلف الله

نظام التسري في الإسلام

للدكتور علي عبد الواحد وافي

نشر صديقي العالم البحاثة فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدني في عدد الرسالة الصادر في ٢ ابريل سنة ١٩٦٤ عن موضوع التسرى في الاسلام مقالا لم يتح لي الاطلاع عليه الا بعد انوجه نظرى اليه احد طلبتي من كلية الشريعة في اثناء محاضرة القيتها عليهم صباح اليوم في هذا الموضوع، وقد راينا ان هذا المقال يشتمل على آراء خطيرة لا ينبغي أن تترك بدون مناقشة يستبين منها وجه الحق فيما ذكره صديقنا ، وان مرور اسبوعين او ثلاثة على نشرها لا يبرر السكوت عليها .

ذكر فضيلته ان المفسرين والفقهاء قد فهموا من قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم » ، أن من خاف عدم العدل بين الزوجات فعليه الاقتصار على واحدة حرة او ما ملكت يمينه من الاماء يتخذهن سرارى يعاشرهن معاشرة الزوجات بدون تقيد بعقد ولا عدل ولا عدد — ولا يرتضى فضيلته هذا الفهم ذاهبا الى أن تشريعا في امر كهذا هو صلة الرجل المشروعة بالمراة لا ينبغى ان يقوم على « اساس اهدار آدمية الاماء وان يباح للرجل الحر أن يجمع منهن ما شاء بدون تقيد بعدد ولا ملاحظة لحق » . ولذلك يذهب في تأويل هذه الآية احد مذهبين سنناقش كليهما على حدة ، ثم نختم المقال ببيان الموقف الصحيح للاسلام من هذا النظام ، والاهداف السامية التى يرمى اليها من ورائه .

١ — المذهب الاول يتمثل في راى اشار اليه الالوسى في تفسيره لهذه الآية وذكره في صيغة توحى بعدم صحته ، اذ جعله « زعما » لبعضهم ، وعقب عليه بما يدل على استبعاده ، وذلك اذ يقول : « وزعم بعضهم ان قوله تعالى أو ما ملكت ايمانكم معطوف على النساء ، اى فانكحوا ما طاب لكم من النساء او مما ملكت ايمانكم ، ولا يخفى بعده » ، (اى لا يخفى انه بعيد عن الصواب) . وبمقتضى هذا الراى يكون تركيب الآية : فتزوجوا ما طاب لكم من النساء الحرائر او مما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحده ، ويكون معناها انه يجوز للرجال ان ينكحوا من النساء الحرائر او الاماء المملوكات ما طاب لهم في حدود مثنى وثلاث ورباع وبشرط الاطمئنان الى عدم الجور ، فان خيف الجور وجب الاقتصار على واحدة حرة أو امة . وعلى هذا لا يكون في الآيه حديث عن التسرى ، وانما يكون الحديث فيها عن النكاح العادى الذى يتم بعقد وايجاب وقبول — ومع ان الالوسى قد ذكر هذا الراى في صيغه توحى بعدم صحته وعقب عليه بما يدل على استبعاده له، فان الاستاذ المدنى يجنح في مقاله الى عدم استبعاده حتى يسلم له ما يريد ان يقرره وهو ان الاسلام لا يجيز التسرى على الوضع الذى يذهب اليه الفقهاء والمفسرون ، وانه لا يفرق بين الحرائر والاماء في العقد ولا في العدد ولا في الحقوق ، وان الآية التى يستدلون بها على هذه التفرقة تؤول هذا التاويل .

وهذا الراى تأباه اللغة ويأباه الشرع معا .

اما ان اللغة تأباه فذلك أن الآية تكون بمقتضاه في غاية الركاكة والاضطراب من ناحيتى التركيب والدلالة معا . فمن ناحية التركيب يكون ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشروط مسلطة عليهما معا لا على المعطوف عليه وحده . وذلك يجعل التركيب ركيكا خارجا على الاساليب السليمة في التعبير . اذ المألوف في اللغات انه في مثل هذه الحالة تؤخر الشروط عن المعطوف والمعطوف عليه .

فلو كان الغرض ما يذهب اليه صاحب هذا الراى لصيغت الاحكام في صيغة اخرى كان يقال : « فانكحوا ما طاب لكم من الحرائر أو مما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » ، ولو ورد تركيب الآية بالصورة التى نزلت بها في حديث متحدث عادى مع قصد المعنى الذى يذكره صاحب هذا الراى لوصف هذا المتحدث بالعى والفهاهة والاضطراب في عبارته . فكيف يتصور هذا في كلام الله تعالى الذى اعجز العرب ببلاغته ؟! — ولا تقتصر الركاكة ، اذا اولت الآية هذا التأويل ، على تركيب عناصر الجملة في العبارة،

بل تتجاوز ذلك الى دلالة المفردات . وذلك ان عطف « ما ملكت ايمانكم » على « النساء » يقتضي ان الاماء شيء آخر غير النساء ، اى من فصيلة اخرى غير فصيلة الآدميين ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، ولأن هذا التأويل نفسه لا يستقيم الا اذا كانت ثمة مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه . فلو كان الغرض ما يقوله صاحب هذا التأويل ما صح ان يقال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء .. او ما ملكت ايمانكم » ، وانما كان يقال « فانكحوا ما طاب لكم من الحرائر او مما ملكت ايمانكم » ،

واما أن الشرع يأبى هذا الراى فذلك ان الذى جنح اليه يريد أن يجعل الآية دالة على أن الاتصال بالاماء لا يجوز الا بعقد نكاح وبالشروط نفسها التى تجب مراعاتها فى الحرائر فيما يتعلق بالعدد والعدل بين الزوجات ، اى أن الاسلام لا يجيز التسرى كما فهمه الفقهاء والمفسرون ، وهو اتصال المولى بجواريه ، مع أن التسرى بهذا المعنى جائز فى الاسلام بالكتاب والسنة والاجماع . اما الكتاب فان فى القرآن الكريم – غير الآية التى نحن بصددها – آيات اخرى كثيرة صريحة فى جوازه ولا يمكن أن تؤول بمثل هذا التأويل ، منها قوله تعالى فى سورتى المؤمنين والمعارج فى وصف المؤمنين المخلصين : « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين » (آيتى ٥ و٦ من سورة المؤمنين ، وآيتى ٢٩ ، ٣٠ من المعارج) فقرر أن المؤمن المخلص لا تثريب عليه ولا لوم اذا اتصل بزوجته المعقود عليها او بجاريته التى يملكها . فعطف فى الآيتين «ما ملكت ايمانهم» على «ازواجهم» والاتصال بملك اليمين هو التسرى اتفاقا لا زواج . ولو كان الاتصال بالجارية لا يصح الا بعقد ، اى بعد أن تصبح زوجة ، بأن يعتقها سيدها ويتزوجها او يزوجها لآخر بعقد عادى ، كما يحتم صاحب هذا الراى الى الذهاب اليه ، لاقتصر الله تعالى فى الآيتين على قوله « ازواجهم » . ومثل هذا يقال فى آيات اخرى كثيرة وردت فى هذا الموضوع نذكر منها قوله تعالى : « يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك » (آية ٥٠ من سورة الأحزاب) . والمغايرة فى هذه الآية بين الزوجات المعقود عليهن والمدفوع صداقهن من جهة والسريات من جهة اخرى صريحة كل الصراحة . واما السنة فقد اجاز الرسول عليه الصلاة والسلام التسرى بعمله وقوله واقراره ، فقد كان للرسول عليه السلام – بجانب زوجاته – سريات من ملك يمينه منهن مارية التى جاء منها بابنه ابراهيم والتى قال فيها : « اعتقها ولدها » اى انها لم تصبح مستحقة للحرية الا بعد أن جاء منها بولد على النحو الذى سنبينه فى احكام « ام الولد » فى الاسلام . وكان لمعظم الصحابة سريات بجانب زوجاتهم لا يتقيدون حيالهن بعقد ولا عدد ولا عدل فى القسم . وقد اقرهم الرسول عليه السلام على عملهم هذا – واما الاجماع فذلك انه قد اجمع الصحابة والتابعون وجميع فقهاء المسلمين من مذاهب السنة والشيعة والخوارج على جواز التسرى ، ولم يؤثر عن احد منهم خلاف فى ذلك فيما نعلم . بل ان الامام احمد بن حنبل – وهو بين ائمة الفقه والحديث – قد تسرى مع عدم حاجته الى التسرى . ولما سئل عما دعاه الى ذلك ذكر انه يؤثر ان يقتدى بالرسول عليه السلام فى جميع افعاله . فهو بذلك لا يذهب الى جواز التسرى فحسب ، بل يكاد يقول باستحبابه محاكاة للرسول عليه السلام .

والحكم الاسلامى فى امرما لا يؤخذ من تفسير متكلف لآية وردت فى صدده ، وانما يستمد من تفسير جميع الآيات التى نزلت بشأنه تفسيرا سليما يتسق مع أسلوبها البليغ ومن ربطها بعضها ببعض ومن قول الرسول وعمله واقراره ومن اجماع ائمة المسلمين وفقهائهم .

واما المذهب الثانى الذى يجنح اليه الأستاذ المدنى فى تفسير آية النساء التى نناقشها فيتلخص فى انه يؤول كلمة « ما ملكت ايمانكم » الى معنى « ما تستطيعون » ، وبذلك يكون معنى الآية فان خفتم الا تعدلوا بين الزوجات فواحدة او ما تستطيعون العدل بينهن من الزوجات ، اى ان من لا يستطيع العدل بين ثلاث وجب عليه الاقتصار على اثنتين ، ومن لا يستطيع العدل بين اربع وجب عليه الاقتصار على ثلاث .

وهذا الراى تأباه اللغة ويأباه الشرع كلاهما كذلك :

اما ان اللغة تأباه فذلك لان عبارة « ما ملكت اليمين » حينما تذكر في سياق شئون الرجال او الاحكام الخاصة بالاحرار والعبيد يراد منها دائما الاماء بوجه خاص او الرقيق على العموم ، كما هو الشأن في هذه الآية وغيرها من الآيات التي وردت فيها هذه العبارة في هذا السياق . وحينما تذكر في غير هذا السياق يراد بها جميع ما يملكه الانسان من مال ومتاع ، كقول الشاعر الحماسي ابي الغول الطهوي :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقت فيهم ظنوني

فوارس لا يملون المنايا
اذا دارت رحى الحرب الزبون

ولا يعبر ابدا في اللغة العربية بملك اليمين عن الاستطاعة . وانما يعبر عن ذلك بكلمة اليد او اليدين ، ويأتي ذلك في الغالب في سياق النفي ، اي التعبير عن عدم الاستطاعة ، فيقام « مالي يد بذلك » أو « مالي به يدان » ، كقول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفياني

فقالا ، شفاك الله ، والله ما لنا
بما حملت منك الضلوع يدان

واما أن الشرع يأباه فذلك ان الذى جنح اليه يريد ان يجعل الآية غير دالة دلالة قطعية على جواز التسري ، ويخلص من ذلك الى انه غير مقطوع بجوازه في الاسلام . وقد بينا فيما سبق تعارض ما يذهب اليه يريد أن يجعل الآية غير دالة دلالة قطعية علي جواز التسري ، ويخلص من ذلك الى انه غير مقطوع بجوازه في الاسلام . وقد بينا فيما سبق تعارض ما يذهب اليه هذا الراى مع الكتاب والسنة والاجماع .

بقي ان نبين الموقف الصحيح للاسلام حيال نظام التسري والأهداف السامية التي يرمي اليها من وراء موقفه هذا ، حتى يظهر للاستاذ المدني ان اباحة الاسلام للتسري لا تنطوي — كما تبادر الى ذهنه والى اذهان كثيرين ممن عرضوا لهذا الموضوع من المستشرقين — على اهدار لآدمية الاماء ولا على تيسير لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها وتحريرها من القيود التي قيدتها بها الحضارة ، وانما تهدف — على عكس ما تبادر الى اذهانهم — الى استكمال آدمية الجواري وحماية هذه الآدمية والسمو بالاماء الى ارقى مستوى انساني .

وذلك ان الاسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج في مختلف امم العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء ان يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان من شأنها ان تعرض اوامر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا اتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر مايكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما امر به ، فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ويؤدي تشريعه الى اضرار بالغة لا تقل في سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا في العصر الحاضر اذا الغي في صورة فجائية نظام البنوك ، او حرم استخدام العمال وقضى على كل صاحب راس مال ان يعمل بيده ، او بطل استخدام السكك الحديدية او استخدام التجار ، فالرقيق كان تجار الآلة الاقتصادية في تلك العصور .

لذلك اقر الاسلام الرق ، ولكنه اقره في صورة تؤدي هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، بدون ان يحدث ذلك اي اثر سيء في نظام المجتمع الانساني ، بل بدون ان يشعر احد بتغير في مجرى الحياة ، والوسيلة التي ارتضاها للوصول الى هذه الغاية من احكم الوسائل وابلغها اثرا واصدقها نتيجة . وهي تتلخص في العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه ، وعلى توسيع المنافذ التي تؤدي الى العتق والتحرير ، وبذلك اصبح الرق اشبه شيء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء ، وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق في صورة سلمية هادئة ، واتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

وقد كان من روافد الرق انتقاله بطريق الوراثة

الى من تلده الامة ، فقد كان من المقرر عند جميع الأمم التى اخـذت بهذا النظام ان الولد يتبع امه رقا وحـرية ، بقطع النظر عن حـالة ابيه ، فولد الامة كان يولد رقيقا مملوكا لسيدها ، ولو كان ابوه حرا ، ولو كان ابوه السيد نفسـه . وقد كان هذا الرافد من اهم روافد الرق ، بل كان اهمها جميعا، واشدها اثرا فى صيانة هذا النظام والابقاء عليه ، وتخليـده على مر العصـور والأجيال ، حتى بعد انقطاع موارده الاخرى جميعا .

فعمد الاسلام الى هـذا الرافد فوجهه توجيها يؤدى فى النهـاية الى جفافه بعد امد غير طويل ، حتى ينتهى بانتهائه نظام الرق نفسـه ، او تتقوض بتقوضه دعامة هامة من الدعائم التى يعتمد عليها الرق فى بقـائه . فاباح للسيد أن يتسرى جواريه كما كان الشان من قبل الاسلام فى جميع الشرائع التى اباحت الرق، ولكن الاسلام خالف هذه الشرائع فى النتائج الاجتماعية الخطيرة التى رتبها على هذا التسرى . وذلك انه قرر ان الجـارية اذا تسراها سيدها فجاءت منه بولد ، ذكرا كان او انثى ، فان هذا الولد يولد حرا ، وان الجارية نفسها التى تأتى بولد من سيدها تزول عنها صفة الرق زوالا تاما وتصبح حرة بمجـرد موت سـيدها ، وان ملكية السـيد لها فى اثناء حياته ملكية مقيدة ضعيفة ، فلا يجوز له ان يبيعها ولا ان يهبها ولا ان يتصرف فيها اى تصرف من شانه ان يعوق تحريرها . ويأخذ حكمها فى جميع هـذه الامور من تجىء به من غير سيدها ، اذا زوجها سيدها بآخر بعد ان جاء منها بولد . فان من تجىء به من هذا الزوج يعتق بمجرد موت سيدها كما تعتق هى بمجرد موته .

ومن هذا يتبين أن معاشرة السيد لجاريته تؤدى فى الاسلام الى حريتها هى وحرية جميع نسلها الى يوم القيامة . واذا لاحظنا ان معظم اولاد الجوارى كانوا يأتون من معاشرة الأسياد لهن ؛ لان الاغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى الا لمتعهم الخاصة ، ظهر لنا ان النتائج الخطيرة التى رتبها الاسلام على هذه المعاشرة ، وانفرد بها من بين جميع الشرائع التى اقرت الرق ، كان من شانها ان تؤدى بعد امد غير طويل الى جفاف اهم رافد من روافد الرق ونضوب معينه ، فينتهى بانتهائه نظام الرق نفسـه او تتقوض بتقوضه دعامة هـامة من الدعائم التى كان يعتمد عليها الرق فى بقائه .

فالاسلام قد اباح اذن للموالى ان يعاشروا من ملكت ايمانهم ليكون ذلك وسيلة الى تحرير العبيد وعتق الرقاب . وقد استغل الاسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق واشاعة الحـرية بين الناس .

ولكى يتحقق هذا الغرض الانسانى النبيل على اتم صورة واكمل وجه ، اجاز الاسلام ان يتسرى السـيد جواريه بدون تقيد بعقد ولابعدد . فلم يقيده بتعاقد ولا بايجاب وقبول ، لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجارية وحرية جميع نسلها الى يوم القيامه لا يصح أن تتوقف على رايها ولا على قبولها ، بل ينبغى ان تذلل سبلها وتنتهز بمجرد اقدام السيد عليها . ولم يقيده الاسلام بعدد ، بل أجاز للسيد ان يتسرى كل من يرغب التسرى بهن من جواريه بالغا ما بلغ عددهن ، لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجوارى واتصال نسب اولادهن بالسـيد وحـرية جميع نسلهن الى يوم القيـامة لا يصح أن تقيـد بعدد ، لان تقييدها بذلك معناه تقييد منافذ الحرية والابقاء على روافد الرق ، بل انه ممـا يتسق مع الغرض النبيل الذى يرمى اليه الاسلام الا تدخر وسيلة لاغراء الاسياد باتخاذ السـرارى والاكثار من عددهن ، حتى تشمل نعمة الحرية اكبر عدد ممكن ولكى يقضى على الرق فى اقصر وقت مستطاع .

دكتور على عبد الواحد وافى

مع شعراء الرفض

للدكتور أحمد كمال زكي

عمليـة البحث عن المضمون عند اى فنان تضع ايدينا من غير شك على المعنى الحقيقى لوجوده ، فاذا تكلمنـا عن الشـاعر الذى تخلى عن الاطار العمودى للقصيدة – فاننا نعنى بضمونه شيئا غير الذى يعنيه النقاد التقليـديون ، وكذلك نعنى ان المعنى الحقيقى لوجـوده ليـس فى « التقليديات » الفنيـة التى اصبحت لا تدل على مـوقف واضح بمقدار ما تدل على تلاش فى «شخصيات» عاشت دورها ولا يلائمها اليوم روح العصر .

المضمون عند هذا الشاعر يختلف عن مضمون الامـس ، لان تجـربة اليوم لا يمكن ان تكون هى نفسها تجربة الماضى ، ولان أسلوب المعالجة الفنية لها توزع بين الوزن بالتفعيلة الواحـدة – وليس بنظام العروض – وبين مزج القضية الاجتماعيـة بالجمالية الادبية . بمعنى ان اى شاعر محدث وقد استقام عوده لم يعد يصطنع الانماط اللغوية والصور الأدبية التى اجمع البلاغيون على تقديمها ، وانما راح يشكل افكاره على النحو الذى ترتضيه ارتباطاته بمفهوم الأدب كفن قولى جميل .

ان المسـافة بعيدة بين المقيـاسين ، وعلى قدر هذا البعد نصدم غالبا من جانبنا عند ملاحظة ان ثمة محاولات للمـاس بمعنى الحياة بدعوى تقييمها او استبطانها او حتى تحديد ملامحها الخارجية . ولقد يمكن ان تتجاوب بسهولة او نتعاطف مع فريق من الشعراء يكتفون بالاحتجاج ولا ينشـدون التدمير، الا اننا نظل بعد ذلك مرتبطين بالمدمرين على الاقل لنجيب عن مثل الأسئلة التالية :

ماذا يريد هؤلاء على الحقيقة ؛
اهم مخلصون ؟
ولماذا تمتد رؤيتهم الفنية الى ما يفجع ويروع ؟

نحن نسلم باديء ذى بدء بأن الفنان الكبير هو وحده من يجـرؤ على المخالفة ، لانه بشـقاقه مع «اللحن» يتطلع الى يوطوبيا خاصة يبلورها مضمونه الذى يصـدر عنه فى كل اعمـاله ، ولكن المخالفة لا تعنى الاطاحة بكل القيم اعنى باقدس القيم ، اذ لا يفتأ كل كبير يرتبط بالروح العام وباغلب التقاليد التى ينبغى ان تصان .

ومن هذه الزاوية يمكن ان نزن المضـمون عند طائفة المدمرين الذين دأبوا على ان يصدمونا ودأبنا نحن على مواجهتهم بالدهش حينا وباللوم حينـا آخـر وبالرثاء فى اغلب الأحيـان . الا ان الظاهرة الفذة ان هؤلاء – بلا استثناء تقريبا – ينتمون الى دعاة الشعوبية من اشوريين وفينيقيين وفراعنة ، ويؤكد بعضهم ولاءه لبعض المبـاديء التى يرفضها المجتمع العـربى ويروج لها واحـد كعبد الوهاب البياتى أو آخر كسعدى يوسف . وأولاء واولئك يعزفون على الوتر الذى يوقع عليه المتحررون من النظام العروضى المتوارث ، وان يكن فيهم من ينظم القصيدة النثرية التى لا اظن انها تنتمى الى جنس الشعر بأية صفة .

لسنا احرارا فى ان نستثنى – بناء على القاعدة السابقة – اى شـاعر مهما يكن دوره فى الحيـاة الادبية المعاصرة . وعلى احمد سعيد أو (ادونيس) السورى المهاجر الجـوال ، نموذج لما نريد مع تسليمنا بطاقاته الكبيرة كشاعر حطم الاطار التقليدى للقصيدة العربية واستبدل به اطارا أودعه الاحتجاج الصارخ على وطأة الحضارة الميتة فى غنائية متحررة وان تكن اصيلة .

اجل لسنا احرارا فى أن نستثنيه ، فهو فى رأيى اخطر المحدثين ممن انتموا الى قوميات لم يعد لها فى اتون الاحداث الا دخـان الحـريق . وهو من ناحية اخرى يشترك مع سعيد عقل فى تفهم جوهر اللغة حتى ليجد بسهولة العبارات التى تضبعه فى مغاور الكبريت وسحائب البخور او تشد قامتـه حتى يتكيء على الريح وبغسل الضياء ويتخذ من الغيوم دفاتره !

ومنذ اطلق على نفسه ادونيس وهو يغنى لتموز، ويبشر باليوطوبيا التموزية جاعلا نفسه أمته وبلاده التى بعثت الحضارات الاولى .

ان فى الغير بعض نفسى وفى
الآخر شرطا ومنبعا لوجـودى

انا فيض من امتى وعتيق
مر فى كونها العتيق الجديد

ولم يمنعه هذا الفناء او الاتحاد من ان يغنى بعد ذلك فى «فينيق» وجاء غناؤه هذا بعد اعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، اذ سافر الى بيروت والتقى مع القوميين السوريين معلنا انه يريد امتلاك الحياة مباشرة – فى المضمون فقط – وذلك عندما اعلن فى قصيدته « الفراغ » وهى من البحر المتقارب:ان الفراغ ابعد عنه شمس المصير واهال عليه التراب ثم مرغ الناس ونقشهم فى الملل.ومن هنا كان لابد من الاعتراف بأن العقم قد تسرب الى الاعماق ، ولكن ليس الى حد العدم الأبدى ، اذ ان هناك صحوة يمكن ان تملأ هذا الفراغ الرهيب . ولكنه للأسف يتخلى عن هذا البصبص الضئيل من الامل، فتمتلىء دواوينه بعد بالشك العاتى الذى يجتاح كل شىء .

على ان ديوانه الثالث « اغانى مهيار الدمشقى» الذى لا يخلو من قصائد نشرت فى ديوانيه الاولين يعتبر اخطر وثيقة تدينه بالرفض وبكفر الحياة التى يبشر بها كل من تموز وفينيق . ونستطيع بكل بساطة ان نلمح فى المقدمات النثرية الاجزاء هذا الديوان – وهى تؤكد الايقاع العضوى الذى اشرنا اليه من قبل – انه يحاول جعل عباراته رياضة صوفية بعد ان جاوز مرحلة الاستشهاد التموزى والتحم بالكون التحاما لا سبيل الى انفكاك منه .

وكالايماجيين تماما كان دائما فى حاجة الى اللجوء الى الاغريق والشرق الاقصى ، ورأى فى بعض الشخصيات التاريخية دعائم لتأكيد صراع جديد يتمثل فى رفض البناء الوحدوى الذى شيدته الارادة العربية الصادقة . رأى فى ابى نواس والحلاج وبشار بن برد – وكلهم متهم امام الانسان العربى – نقط انطلاق لثورته فرثاهم ، ثم رأى فى مهيار الديلمى رفيقه الجديد ، او الروح الذى يواجه به تحدى العرب فى كل مكان ، فتقمصه جاعلا منه فارس الكلمات الغريبة الذى يخونه عاشقوه ويضيع :

مهيار وجه خانه عاشقوه
مهيار اجراس بلا رنين
مهيار مكتوب على الوجوه
اغنية تزورنا خلسة
فى طرق بيضاء منفيه
مهيار ناقوس من التائهين
فى هذه الارض الجليلة !

وبظهور مهيار على راس الشعوبيين الذين رثاهم على احمد سعيد يكون قد وضع تجربته فى دائرة واسعة من الانفعالات والعواطف العارمة ، ولم يتورع عن التصريح بانه قد تقهقر فليس الا من اجل « تحقيق » ارادته ، وهذه الارادة تخرج على ارادة الله والشيطان معا .

من انت من تختار يا مهيار
انى اتجهت الله او هاوية الشيطان
هاوية تذهب او هاوية تجىء
والعالم اختيار
– لا الله اختار ولا الشيطان
كلاهما جدار
كلاهما يغلق لى **عينى !**

لقد تعلم على احمد سعيد ان الكلمات مملكته وان اغنياته للرفض خبزه ، ومع ذلك فقد كان يطمع ان يتملك شيئا حتى وان يكن الرياح وان يكن الخطيئة وان يكن الغبار او البرق اوالصاعقة. وتدل قصائده « صوت آخر » و « صوت » و « الضياع » و « أرض السحر » و « اليوم لى لفتى » و « مرآة الحجر » و « الاشياء » و «وطن» و « المدينة » .. تدل هذه القصائد على الرغبة الملحة فى الظفر بالملكوت ، ويبدو ان الموجود الذى جاهد ليفقد نفسه فيه كان الكلية غير الظاهرة للكون فيما وراء مجرى الحياة الذى يضطرب باعدائه وخصومه . ولكن الحقيقة انه لم يصل الى حل يرتضيه لمشكلاته ، لسبب بسيط هو انه فارق اهله على غير ايديولوجية محددة ، فقط لم يعد يؤمن كما كان يؤمن فى الطور التموزى باعادة بناء النفس من حيث هى فرد ومواطن معا !

اجل فارق دمشق فى سنوات الوحدة على هذا النحو ، ثم جمع شتيت الازمة فى اغنيات يرثى بها الموقف الذى وقفته بلاده من الوضع الجـديد . وعندما ارتحل أعلن فى منفاه – بيروت – وعيده ونبوءاته ، غير ان هذا لم يكن اكثر من عويل او صراخ موتور . وبدا موقفه بصفة عامة سلبيا أكثر من ان يكون ايجابيا ، ميتافيزيقيا اكثر من ان يكون تحقيقيا ، ومن ثم ضاع كل شيء فى الهواء . وكان دليل ضياعه فى آخر الامر اعلانه رفض الرفض ، اعنى اعلانه تخليه عن تشكيكه فى موقف العـرب من قضية الوحدة بكل قضاياها على الصـعيدين القومى والانسانى .

الجديدة بالموت. حقا يتساوى فينيق أسطوريا فى الموت مع تموز روحه الأول – فكلاهما يتجدد بعد ان يتبدد وكلاهما تبتعث بنهايته البداية – الا ان الانتقال فى حد ذاته دليل صبا او دليل قلق، وهذا القلق هو الذى يطبع ديوانه الأخير « اغانى مهيار الدمشقى »

والديوان فى حد ذاته صـورة ثانية او صورة ثالثة لتحولات الشاعر ، اذ على الرغم من صلاته الى فينيق كى يولد البطل المنقذ .

نيراننا جامحة الاوار كى يولد فينا بطل
مدينة جديدة

فانه يدعى « مهيار » الشـعوبى ويذوب فيه ، وكأنه لم يبشر قط بتموز ولا بالفينيق المسيح الذى يذهب من اجل خلاص البشر ! وهكذا نحـار بين هذه الوجوه ، حتى ليخيل الينا ان الشاعر لاينى يبحث عن النموذج . فاذا اضفنا الى ذلك انه اعلن فى مصر مؤخرا خروجه على تبعيته المشبوهة وانه عاد الى حظيرة العرب بنشر اشعارهم القديمة فى اطار جذاب من الفهم المعـاصر ، وضعنا الرتوش الاخيرة لشخصيته الملول المحيرة المضطربة الملامح . ومع كل ذلك ، فاننا نستطيع بسهولة ان نكتـشف عن المعنى الحقيقى لوجوده من خلال تتبعنا لمضمونه فى مختلف الحالات التى بسطناها ، وهذا ماسناخذ به انفسنا الى نهاية المقال .

ونبدأ بالحديث عن « قالت الارض » التى عاش فيها الشاعر منذ ١٩٤٩ المصير التموزى بكل ابعاده، وكانت صرخته فيها بلسـان الارض التى هى أم الاشياء جميعا .

انا كنز مخبأ ابن ابنائى
فكلى صوت وكلى حناجر

ضرورة يحتاج اليها ما كان يرى ان «الوضـع» الاجتماعى قد شاخ وانه لا بد ان يستبدل جديد به . والحق ان فى المجتمع نفسـه طاقة وان تكن خامدة ، وتتسـاوق تلك الطاقة مع اليقظة المتوقعة التى تشكل الانتفاض الجديد . فلاذا « اورق اليبس » و « حيا الميت » و «استفاق التراب» فلأن هذه سنة الوجود على ان يكون ثمة عـراك يصير فيه الاسلاف أحفادا بدينامية تتحكم فيها هندسية مريدة وتقنين محتم !

وعلى الرغم من ان المصير التموزى لا يقـترن اسطوريا بالدم الا حين يصرع الاله القديم ، فان الشـاعر ينحـرف بتلقائيته وسـماحته ليضع يوطوبياه كلها بذلك الدم ويذوب تموز من ثم فى كل شيء ذوب .

دم يخصب الحياة فـلا
ينبت الا حق وبالا جمـال

ولقد يمكن ان يقال ان الدم فى مجالات التضحية الوطنية يحول التاريخ تحوله الخطير ؛ ولكن يقال ايضا انه بالصورة التى برز بها عند ادونيس كان فوق المحتمل بحيث اصبح مثيرا للرعب اكثر من حضه على الاستشهاد العادل المنشود . ويبـدو انه كان غير مؤمن بجدوى تموز ؛ لانه راح فى الوقت نفسه أو بعده بقليل يندد بالحياة . ولم يعد يرى الخصب ولا الجمال ولا النشوة ولا الفرح ، وانما كان أمامه السواد المطلق والباب الذى لا يصنـع شيئا . وظهر بوضوح أن خمسينات القـرن – وكانت مليئة بالاحداث التى هزت ضمير العرب فى كل مكان – لم يكن لها فى نفسـه اكثر من احساس مرير بالانكسار . وفى هذه الآونة ايضـا مال الى اصطناع « الايماجية » التى صدر بها عزرا باوند وتابعه فيها اليوت وسائر شعراء النكسة ، وقـد نجح نجاحا هائلا فى خلق ثورة فى القصيدة العربية عن طريق «النظم» المرسل الذى يقوم على التفعيلة والاتكاء على التسـلسل الوجدانى لا التسلـسل

المنطقى داخل مقطعات قصيرة مليئة بالكنايات والرموز .

ونستطيع ان نزعم انه اقتبس اخيلة « الارض الخراب » اقتباسا واضحا ، وراح من ثم يغنى للعدم والرفض والملل فى كل من ديوانيه « قصائد اولى » و « اوراق فى الريح » . وفى ديوانه « اغانى مهيار الدمشقى » الذى احيا فيه عبادة الكلمة وجعل اللغة رؤى اسطورية — وليس مجرد رمز فكرى — نراه يميل كاليوت الى صاحب اللعنة على حياة العصر مع الاقتصاد فى العرض واستعمال ما يسمى بالايقاع العضوى

فى الوقت الذى يلزم نفسه فيه بالتفعيلة كاساس كمى للنغم .

وكان قد سبق هذه الدواوين محاولة اليوتية ولكن اهو صادق فى اعلانه ذلك ؟

نحن لا يعنينا صدقه ولا كذبه ، فلكل رأيه ودينه وفلسفته وادراكه الخاص للحياة ، ولكل عينه التى يرى بها العالم رؤية المكتشف سواء اكانت هذه العين عين كوكلوبس ام عين بروميثيوس ، وسواء اجعل من العين نفسها مدى الى شر ام مدى الى خير . ولكننا نؤثر ان ننبه الى ان اضطراب تجربته الشعرية على ذلك النحو الذى رأينا يجعلنا نتوقع منه صدمات اخر ، وينبئنا من ناحية اخرى بان لشخصية الشاعر جذورا بعيدة فى ارض التمرد حيث الوحدة الحقيقية مع ماديات الارض وحاجاتها الرخيصة ، لا حيث الوحدة الصوفية التى ظهرت فى ضوء المصير التموزى !

ومع ذلك فقد لا يكون فضولا ان نزعم ان على احمد سعيد لم يصدق فى توبته ، لان الحدة التى طبع بها اشعاره تتعارض مع التخلى المطلق عن كل الاسس التى اقام عليها معنى حياته او فلسفة موقفه ، ولعلنا فى غد قادرون على ان نحكم عليه الحكم الاخير .

دكتور أحمد زكى

الإسلام والروم في عهد الرسول عليه السلام

للدكتور طه الحاجري

فاما زيد بن حارثة فهو مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وربيبه ، ومن احب الناس اليه والزهم عنده . كان الرسول يقول له : يا زيد ، انت مولاى ، ومنى والى ، واحب القوم الى . وكان في نحو الخمسين من عمره حين خرج في هذه الغزوة .

واما جعفر بن ابى طالب فهو ابن عم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن اول الناس اسلاما ، ومن مهاجرى الحبشة . وكان قريب عهد بالعودة منها حين اختاره الرسول اميرا على جيش مؤتة ، كما كان ما يزال اذ ذاك شابا لم يبلغ الاربعين من عمره .

واما عبد الله بن رواحة فانصارى خزرجي ، من اول الانصار اسلاما . كان ممن بايع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في بيعة العقبة الثانية ، كما كان احد النقباء الذين اختيروا منهم لينشروا الدعوة بين قومهم ويعلموهم مبادىء هذا الدين واصوله . وكان احد شعراء الرسول الثلاثة ، واحد كتاب وحيه ، ولم يفته مشهد من مشاهد الاسلام الى ان اختاره الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اميرا في ذلك الجيش .

اخذ الجيش سبيله الى الشام . وكان القوم يواجهون تجربة جديدة لا عهد لهم بها من قبل : ان يحاربوا في تلك الارض ، وان يقاتلوا جيش الروم . وجدير بمثل هذه التجربة ان تاخذ القلوب بالوان من الرهبة والتوجس ، لولا ما كان يعمرها من ايمان غامر ويقين قوى ورغبة مسيطرة في نشر دين الله او الاستشهاد في سبيل الله ، مما جعل الجيش يمضي قدما ، واثقا من النصر الذى عوده الله ، مطمئنا الى الخير الذى قدره الله .

ويظهر ان انباء هذا الجيش لم تلبث ان سبقته الى حيث كان هرقل واخوه تيودور وقواده وبطارقته ، فلم يصغروا من شانه ، وانما جعلوا يعدون له ويتهياون لمنازلته ، فما ان بلغ المسلمون « معان » ، على طرف بادية الشام ، حتى جعلت الانباء تترامى اليهم ان هرقلا قد جمع لهم ، وانه معسكر في « مآب » من ارض البلقاء ، في جيش زاخر يقوده بنفسه ، يتالف من مائة الف من الروم ، ومائة الف من قبائل العرب التي تدين له وتخضع لسلطانه ، كلخم وجذام وبهراء وبلي والقين .

وسواء كانت هذه الانباء صحيحة ام مبالغا فيها ، فقد احدثت اثرها في نفوس المسلمين ، فاضطربوا قليلا ، وتوقفوا في معان ليلتين يفكرون في موقفهم ، ويحاولون ان يدبروا امرهم. وقال قائل منهم : « نرجع الى رسول الله ، فنكتب اليه بامرنا ، ونخبره بعدد عدونا ، فاما ان يمدنا بالرجال ، واما ان يامرنا بامر فنمضي له » . ولكن عبد الله بن رواحة راى في مثل هذه الاقوال بوادر هزيمة تندس الى نفوس القوم على غرة منهم ، وتوشك ان تفعل فعلها وتترك اثرها ، فتوهن العقدة الوثيقة وتفت في اعضادهم ، فلم يلبث ان نهض في القوم يرد عنهم عوامل التردد ، وينفي عنهم اسباب الهزيمة ، ويقضي على ما عسى ان يحيك في الصدور ويعبث بالضمائر ، فجعل يقول لهم :

« يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور واما شهادة » .

وبمثل ذلك استطاع عبد الله بن رواحة ان يذكر الجيش بحقيقته ، ويثير فيه المعاني التى اقرها الاسلام في نفوس اتباعه ، ويبدد عنه غواشي الرهبة ، كما استطاع بذلك ان يلهب حماسته ، ويدفعه في سبيله الى لقاء الروم .

والتقى الفريقان : المسلمون والروم ، عند تخوم البلقاء ، فانحاز المسلمون الى قرية «مؤتة» التى سميت الموقعة باسمها. راوا انها اصلح موقع لهم في الحرب ، وفيها تعباوا ونظموا صفوفهم بازاء ذلك الجيش اللجب بعدده وعدته ، وما كان الا الايمان وحده الذى جعل جيشا لا يتجاوز الثلاثة الالاف يقف بازاء جيش يفوقه اضعافا مضاعفة .

وتقدم الجيش قائده الاول ، وفي يمينه الراية ، وملء قلبه ايمان واستبسال ، ولكن رماح العدو لم تلبث ان اخذته من كل جانب ، فاذا به يقع قتيلا .

ولكن استشهاد زيد بهذه السرعة وفي هذه الصورة ، مر كانه شيء عادى في غمرة الحماسة التى كانت تغمر نفوس المسلمين وتلهب مشاعرهم ، فلم يجد الفزع سبيلا اليها ، وانما سارت الامور كما رسمها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتلقى الراية جعفر بن ابى طالب ، وتولى القيادة ، ومضى مقاتلا ، والمسلمون من ورائه يقاتلون ، حتى اذا التحم القتال ، واحاط العدو به من كل جانب ، اقتحم عن فرسه فعقرها ، حتى لاينتفع بها العدو ، وكانت اول فرس عقرت في الاسلام ، ثم اندفع راجلا يقاتل اعنف القتال ، ويحاول ان يتجنب الضربات المسددة اليه من هنا وهنا ، ولكنه لم يستطع اخيرا ان يمنع ضربة

سيف أطاحت بيمينه ، فتناول الراية بيسراه ، ومضى يقاتل ويلهب قلوب المسلمين حمية ، حتى أتيحت ليده اليسرى ضربة سيف أطاحت بها أيضا ، ولم يلبث ان استشهد ، وهو يرتجز بهذه القطعة :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة انسابها
على اذ لاقيتها ضرابها

وبذلك انتهى الدور الى عبد الله بن رواحة ، فتقدم الى الراية يمسكها بيمينه . وكان من الطبيعي ان تترك هذه المشاهد العصيبة المتلاحقة اثرها في نفسه ، وهو يتقدم الجيش ، فيخالجه بعض التردد . ولكن ما اسرع ما دفع نفسه وحمل عليها ، واخذ يقول لها :

اقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن او لتكرهنه
ان اجلب الناس وشدوا الرنه
مالي اراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة
هل انت الا نطفة في شنة
يا نفس الا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلي فعلهما هديت

واطمأنت نفسه ، واقتحم المعركة مستبسلا ، حتى غلب على امره ، ولحق بصاحبيه .

وانتهت بذلك المرحلة الاولى في هذه المعركة التي امتحن المسلمون فيها امتحانا عسيرا . فماذا هم صانعون بعد ؟ أيتركون اللواء يسقط في ايدي اعدائهم ، ويلقون السلم اليهم ؟ تلك كانت كبيرة الكبائر ، مهما يكن من امر هذه المعركة غير المتكافئة .

وهكذا صار اللواء في يد رجل انصاري يدعى ثابت بن اقرم ، وجعل يصيح في الجيش : « يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم » ، فعرضوا عليه أن يكون ذلك الرجل ، فأبى . فما أخذ اللواء الا انقاذا للموقف ، ريثما تتدبر جيش المسلمين امره ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، واسلموه قيادة الجيش . وكانوا يعرفونه قائدا محنكا ، ومقاتلا بارعا ، مارس الحرب وقيادة الجيوش . وكانت هذه اول مرة يحارب فيها في صفوف المسلمين ، اما قبل ذلك فكان يحارب ضدهم ، وقد بلوا منه في هذه الحروب شدة المراس وقوة الباس وسعة الحيلة .

تسلم خالد القيادة ، والموقف غاية في الحرج . ولكنه كان قد دبر في نفسه امرا ، واحكم خطته بان يجعل قتاله نوعا من المناوشات الخفيفة ، يشغل بها عدوه ، ويبقي بها على معنويات اصحابه ، حتى ينتهي النهار ويقبل الليل ، وينصرف كل جيش الى نفسه .

وكذلك تم له الامر على ما قدر . حتى اذا اصبح الصباح كان قد وضع في مؤخرة الجيش جماعة من الجند جعلهم في خط طويل ، وقد اخذوا يضجون ويتصايحون ، حتى يقع في الوهم انهم عدد كبير . وكان ذلك جزءا من خطة الانسحاب المنظم التي وضعها .

استيقظ جيش الروم على هذا المشهد وتلك الاصوات المرتفعة المختلطة ، فلم يشك في انذلك مددا امد به المسلمون . وقد كان يحسب انه فرغ منذ الامس من امرهم ، ولم تبق الا جولة يقضي فيها عليهم ، وهم قد عنوه على قلتهم وكلفوه جهدا غير قليل ، فماذا عسى ان يكون امره معهم وهذا المدد الذي يبدو انه مدد كبير قد جاءهم . وبهذا الذي اخذ يساور جيش الروم لم يبدأ المسلمين بالقتال ، بل وقف ينتظر حتى يتكشف له الموقف . وفي خلال ذلك اخذ المسلمون ينسحبون ، يغطي انسحابهم ذلك المدد الموهوم . وتم الانسحاب بالنجاح الذي قدره خالد في الخطة التي رسمها .

وهكذا انتهت هذه الغزوة ، ورجع المسلمون منها دون ان ينالوا من عدوهم نيلا ، ولكنهم افادوا منها — ولا ريب — تجربة في القتال جديدة ، اذ كانوا يقاتلون في ميدان غير الميدان الذي عرفوه وتعودوا القتال فيه ، وقد لقوا فيه عدوا من نوع جديد ، اكبر الظن انه كان يصطنع فنونا من القتال غير التي يعرفون . ثم هم قد استطاعوا — على قلة عددهم — ان يبهروه بهذه القوة المعنوية الرائعة التي ظهروا في القتال بها ، ويتركوا في نفوس اهل هذه الاقاليم صورا باهرة لهم ، تبعث على تقديرهم واكبارهم . لقد كان يكفي انهم واجهوا جيش الروم وصاولوه الند للند ، لم يداخلهم شيء من الرهبة في قتاله ومناجزته . ولعل هذا هو ما يقصد اليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم : ان تنحل تلك العقدة الكامنة في النفوس ازاء الروم ، وتتهاوى تلك الصورة الموهومة عنهم .

ولقد كان لا بد للمسلمين من هذه التجربة التي اتاحها الرسول ، صلى الله عليه وسلم لهم حتى يواجهوا المستقبل بقدم راسخة ، وخطى ثابتة مطردة .

ولم يكد جيش المسلمين يبلغ المدينة ، وقد سبقته اخبار

اصحابه ، حتى استقبله اهلها أسوأ استقبال ، فجعلوا يحثون التراب في وجهه ويصيحون به : يا فرار ! فررتم في سبيل الله. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يدافع عنهم ، ويقول – في لهجة المقدر للموقف ، العارف بأثر هذه الغزوة ، المتفائل بالمستقبل – : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ، ان شاء الله.

انها غزوة لها ما بعدها ، ولعلها لم تقصد لذاتها . لقد كانت مسرحا رائعا لألوان من البطولة وروح الفداء والايمان القوى القاهر ، جديرة أن تملأ القلوب اعجابا واكبارا ، كما انها كانت ارهاصا ومقدمة لفتح المسلمين أرض الروم بعد سنوات قليلة .

لم يقف ما بين المسلمين والروم في حياة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عند هذه الغزوة ، فقد جعلت الاخبار تجيء الى المدينة ان الروم يحشدون الجيوش ، ويعدون العدة ، ويتهيأون لغزو بلاد العرب غزوا يقضون به على هذا الدين الطموح ببصره ، وهذه الدولة الناشئة التى اجترأت ان تمد بصرها الى ملك الروم ، وتتسلل الى ارضه ، وتناوش جيشه. وقد استطاعت بالأمس ان تخدعهم ، وان يتسحب جيشها دون ان يكلم كلما ، فقد آن ان يكف الروم عن خديعتهم ، وان يقضوا على هؤلاء المسلمين الذين يحسبون انهم جاءوا ليشكوا السحة ، يقضوا عليها ، ويقيموا دعائم مقامها .

وكان من الطبعى ان يستقبل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، هذه الاخبار بما هى جديرة به ، فجعل يدعو الناس الى التهيؤ للخروج للقاء الروم ومناجزتهم ، قياما بحق الاسلام عليهم ، وجعل يحثهم على ذلك حثا دائبا متصلا. وكان ذلك في مقتبل الخريف من السنة التاسعة للهجرة ، «وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها ، واخبر انه يريد غير الوجه الذى يصمد له ، الا ما كان من غزوة تبوك ، فانه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك اهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، واخبرهم انه يريد الروم» كما يقول ابن هشام ، فيما يحكى عن ابن اسحاق .

تلك كانت الظروف التى لابست الدعوة لغزو الروم . وقد كانت هذه الظروف ، الى جانب المحنة التى امتحن بها المسلمون في مؤتة في العام الماضى ، مما مكن للمنافقين ان يشفوا صدورهم ، واتاح لهم ان يبثوا فتنتهم ويسعوا بالفساد بين المسلمين ، فجعلوا يسلكون كل سبيل ويصطنعون كل اسلوب لتثبيطهم واغرائهم بالقعود عن رسول الله ، فمرة يثيرون فيهم الخوف مما يتعرضون له في مثل هذه الغزوة من الحر والجهد والعناء ، كما يقول الله تعالى في الحكاية عنهم والرد عليهم : « وقالوا : لا تنفروا في الحر . قل : نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » ، ومرة يحاولون ان يثيروا في نفوسهم الخوف من الروم ، فيقولون لهم فيما يقولون : « أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟ ! والله لكأننا بكم غدا مقرنين في الحبال » الى غير ذلك من الارجاف والتخويف والتهويل والتثبيط .

ولكن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اخذ هذه الحركة بالحزم ، فلم يكن يتسامح ازاء هذه الفتنة التى اراد المنافقون ان يثيروها ، وكان من ذلك ما يحكيه ابن هشام انه بلغه ، عليه السلام ، ان ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عنه ، فبعث اليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من اصحابه ، وامره ان يحرق عليهم بيت سويلم .

ومضى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في الدعوة الى التجهز للغزو ، وحض أهل الغنى على التبرع باموالهم ، وان يحملوا من لا يجدون الدواب التى تحملهم .

وبقدر ما جهد المنافقون في ايقاد الفتنة ، واثارة روح التخاذل ، كانت الحماسة التى غمرت نفوس الناس لهذه الغزوة غاية في الروعة . وكانت حماسة غمرت الناس جميعهم : اغنياءهم وفقراءهم .

وان ما بلغنا من اهل الثراء وصور انفاقهم في سبيل هذه الغزوة لما يعد من الامثلة العليا في الايثار ، والجهاد في سبيل المبدأ ، كالذى يروى عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه، انه جهز عشرة الاف انفق عليها عشرة آلاف دينار ، غير الابل والخيل ، وقد بلغت تسعمائة بعير ومائة فرس ، وكالذى يذكر عن أبى بكر ، رضي الله عنه ، انه جاء بجميع ماله : اربعة الاف درهم ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هل ابقيت لأهلك شيئا ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

واما الفقراء فلعل مما يصور الروح الغالبة عليهم إزاء هذه الغزوة ما يرويه ابن اسحاق ان ابن يامين النضرى لقى ابا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيما انزل الله تعالى في مثل ذلك ما يشير الى هذه الروح التى غلبت على عامة المسلمين . قال الله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون » .

وفي وسط هذا الجو من الحماسة والحمية انطلق الجيش قاصدا تبوك . ولكن الروم كان قد بدا لها فآثرت الانسحاب، وآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقف حيث انتهى به السير في تبوك ، دون أن يتتبع جيش الروم ، واكتفى بعقد بعض المعاهدات مع بعض الامراء في الشام ، كمعاهدته مع يوحنا ابن رؤبة ، صاحب ايله . وتوجيه خالد بن الوليد الى صاحب دومة ، وهو اكيدر بن عبد الملك . وقد اسره وقدم به على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحقن دمه ، وصالحه على الجزية .

وبذلك امن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حدود بلاد العرب ، ومنع الاسلام من ان يتعرض لعدوان المعتدين .

وكان اثر هذه الغزوة اثرا خطيرا بعيد المدى في انتشار الاسلام في بلاد العرب ، وفي القضاء على كل ما قد كان يساور بعض النفوس من تردد .

كما كان اثرها كبيرا في التمهيد لفتح بلاد الروم وانتشار الاسلام فيها ، على النحو الذى تم في عهد أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما .

وبعد ، فان صور الجهاد فى عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، جديرة بان تثير في انفسنا ابلغ معانى الايثار في سبيل العقيدة ، والدفاع عن حرية المبدأ وكرامة الانسانية .

د. طه الحاجرى

العدد القادم .. وكل ثلاثاء

« اقرأ فى مجلة الثقافة »

أضواء على السياسة العالمية	خيرى حماد
أضواء على الفكر الاشتراكى	الدكتور راشد البراوى
المسرح وتطهير النفس	الدكتور يوسف مراد
دانتى اليجيرى والتراث الانسانى	محمد اسماعيل محمد
بل وقور يدعو الى الاجتهاد الوقور	محمد محمود شمس
الثقافة الشعبية	حسن لطفى المنفلوطى
خصائص النص الأدبى فى الفيلم والمسرحية والرواية	فؤاد دوارة
تطور وضع المرأة فى المجتمع الشامى المعاصر	يسره حسن اليافى
العطر وبائع الابر (قصة)	عوض السنى
نار هذا العصر (قصيدة)	سعد دعبيس
أيوب المصرى	لمعى المطيعى

اتجاهات حديثة في الأدب العربي

بقلم : محمود تيمور

— ٤ —

وقد التقت هذه العوامل مجتمعة مع فئات من أبناء الأمة ثقفتهم معاهد تعليمية أجنبية قامت على أرجاء الوطن العربي ، وفئات أخرى من الشباب الذين عادوا من أنحاء الغرب بعد أن اغترفوا من لغاتها ومن ثقافاتها ما اغترفوا . وفي الوقت نفسه كان هناك « الأزهر » و « دار العلوم » وغيرهما من معاهد تعمل على حفظ اللغة العربية واحياء علومها المتوارثة ، وتقيم منها سدا منيعا للاحتماء من هجمات الافكار المتطرفة في الدين والأدب والاجتماع وكان اجتماع العوامل السياسية والاجتماعية والثقافيــة والتعليمية على هذا النحو، وتباين المنازع بين المفكرين وحملة الأقلام يوم ذاك ايذانا بنشوب معركة «القديم والجديد» ، بين الذين يؤمنون بالثقافة العربيــة من ناحية ، والذين يؤمنون بالثقافة الاوربية من ناحية أخرى .

ولعل روح النهضة ، والخروج من هذا السبات الطويل الذي عاشت فيه بلاد العروبة ردحا من الدهر ، وتفتح الأعين على حضارة غربية ساطعة الأضواء تبهر الأنظار — لعل ذلك كله أشعر الرأى العربى العام بما يسميه علماء النفس «مركب النقص» . وكان لذلك أثره فى كل من حزب اليمين وحزب اليسار بين قادة الفكر فى ذلك العصر .

فالمحـافظون فى الصف الأيمن دفعهم « مركب النقص » الى الخشية من هذه الأمواج الدافقة التى اندفعت الى الشرق من جانب الغرب تحمل حضارة جديدة فى كل شأن من شئون الحياة ومرافقها الاجتماعية ، فانبعثوا يدعون الى المحافظة ، ويحذرون من التهافت على البريق الخلاب ، حتى لا يطغى من ورائه دفق الأمواج على كل مقومات الأمة من عقائد وتقاليد وتراث عقلى وأدبى ، فيصبح العربى طوعا لهذا الطغيان غريبا فى كيانه ووجدانه ، اذ تفتنه مدنية الغرب بلألائها ، وتجذبه نحوها ، فلا يبقى له من وجوده الموروث أثر .

والمجددون فى الصف الأيسر دفعهم «مركب النقص» ايضا الى الحملة على كل قديم، والازدراء بكل موروث، اذ هالهم أن تتخلف الأمة عن ركب الحضارة الجديدة هذا التخلف البعيــد ، وسمت هممهم الى ملاحقة الركب ، فأغراهم ذلك بأن ينادوا بنبذ كل ما صاحب الأمة فى عهود تخلفها من ثقافة جامدة ، ونظريات عتيقة ، لم تعد فى نظرهم تصــلح لعصر البعث والاحياء ، بل لقد كانوا يحسبون أن تلك الثقافة وهذه النظريات هى علة التخلف والضعف الذى منيت به الأمة ، وهى التى عوقتها عن التقدم والنمو والازدهار .

ولقد كان لمركب النقص الذى شعر به كل من الحزبين المتباينين فى ميدان الفكر ، أثره البالغ فى انعاش حركة الأدب ، واذكاء نشاط الفكر ، والتمرس بطرائق النقد ، ولئن دلت معركة القديم والجديد فى هذه المرحلة من الحياة العقلية بين أنصــار المحافظة والدعاة الى التحرر على شىء ، فانهــا لتدل على أن الشعب فيه حياة وفيه انتفاضة وفيه يقظة ووعى ، بيد أن ذلك كان يختلف اتجـاهات وميولا وآراء بحسب اختلاف ينابيع الثقـافة والعقلية للأمة فى تلك المرحلة التى لم تتوحد فيهـا منـاهج التربية والتعليم . وانما كانت معاهد العلم والدرس متشعبة بين وطنية واجنبية بين شرقية وغربية ، بين جامدة ومتحررة ، تكاد فى تشـعبها تتنـاكر فى الطابع والروح .

ولا يســعنا الآن الا أن نحيى هذه المعركة التى دارت بين المحافظين والمجددين ، فلن تبتلى أمة بأسوأ من الخمول والسكون ، حيث لا تفكير من جديد ، ولا نزاع على رأى ، ولا دفاع عن مذهب ، ولا موازنة

بين موروث ومستحدث من نتائج القرائح والعقول والأذواق .

ومما لا شك فيه أن هذا الاختلاف المذهبي والصراع النقدي كان خيرا وبركة على الأدب في توجيهه وجهة سديدة ، اذ أنه أفاد المحافظين والمجددين جميعا ، في كبح ما بنفوسهم من جماح التطرف والاستئثار بالسلطان على العقول والأفكار، وفي تجنيبهم مزالق التفريط والافراط ، فقد كان لاصطراع المذاهب والأهداف ما يشبه التلاقح والتطعيم ، ولذلك انتهت هذه المذاهب والأهداف الى شيء من الاعتدال والتصالح والتوفيق بفضل ما دار بين أشياعها وخصومها من تجاذب ونزاع .

القصة الفنية وروادها في الأدب العربي :

وفي العهد الذي كانت فيه تتجمع الأسباب التي هيأت الأذهان من بعد لخوض تلك المعركة الحامية ، معركة القديم والجديد ، في ميدان الفكر والرأى والمعتقدات ، كان هنالك نزوع عند ناشئة الأدباء الى توجيه الادب نحو الاستجابة للحياة الاجتماعية المتطورة،والتعبير عن الطابع الوطني للأمة في مختلف نوازعها ، في أنماط جديدة تستوحي في صورها الادب الاوربي الحديث ، وكانت القصة بمعناها الفني قبلة الانظار لبلوغ ذلك الهدف .

وقد سجل التاريخ في العقد الاول من القرن العشرين للدكتور « محمد حسين هيكل » أنه وهو يومئذ شاب نازح الى « فرنسا » يتلقى فيها دراسة الحقوق ، أجرى قلمه بكتابة قصة « زينب » التي تعد باكورة القصص الفني في الادب العربي ، وقد احتوت وصفا للريف المصري يتراءى من خلال أحداث القصة وشخصياتها ومشاهدها .

وكذلك يسجل التاريخ في تلك الفترة لشقيقي « محمد تيمور » أنه لما عاد من « فرنسا » التي ذهب اليها حينا لدراسة الحقوق أيضا ـ بدأ يعالج كتابة القصة القصيرة والمسرحية ، ويدعو الى أدب مصري الملامح ، مستكمل للعناصر الفنية ، يعرض ألواحا تصور بيئتنا القومية بما يعتلج فيها من مشاعر وأشجان .

وعلى نهجه تتابعت أقلام الجيل الصاعد من الكتاب ، فتألفت مدرسة الادب القصصي الجديد ، وكان من روادها « شحاته عبيد » و « عيسى عبيد » و « محمود طاهر لاشين » و «يحيى حقي» و «حسين فوزي » و « ابراهيم المصري » ،وكاتب هذه السطور « محمود تيمور » .

ومن الظواهر التي لابد من التنويه بها في هذا الانتاج القصصي الفني الوليد أنه قد تميز في لغته بشيء من الحرية والانطلاق ، فلم يكن التعبير في القصص ملتزما كل الالتزام أوضاع اللغة في تقاليدها المتوارثة ، وما تتزين به من زخرف لفظي ومحسنات بلاغية ، وانما كان أدباء الطليعة القصصية حراصا على أن يستكملوا مقومات الصبغة المحلية باستخدام اللغة الدارجة،كثيرا في الحوار ، وقليلا في الوصف. وكان أولئك الرواد يحاولون أن يصطنعوا لانفسهم أسلوبا كتابيا تتوضح فيه شخصية الكاتب ، ولا يكون محاكاة وتقليدا للاساليب الكتابية التي تلتزم تلك الاوضاع القديمة .

محمود تيمور

دور العلماء العرب والمسلمين في التفكير الفلسفي

بقلم: دكتورة فوقية حسين محمود

- ٣ -

ويصح أن نثبت هنا ان الارقام التى يستعملها الغربيون ويسمونها بالارقام العربية هى فى حقيقتها هندية غير ان العرب كانوا قد نظموها قبل أن تنتقل الى الغربيين الذين يعتبرون ان من أكبر مآثر العرب نقلهم الارقام الهندية وتهذيبهم لها • وأول من اهتم بتناول تلك الأرقام محمد بن موسى الخوارزمى وصف فيها كتابا نقله أولا رد الى اللاتينية • وقد اهتم هذا المؤلف العربى أيضا بالجبر وألف فيه المؤلفات كما ذكرنا وبقيت كتبه المرجع الأول والأخير فترة طويلة من الزمن للأوربيين حتى انه يمكن أن نقول ان الخوارزمى قد وضع علم الجبر والحساب للأوربيين بل ولأهل الشرق أجمعين •

والحقيقة انه اذا كان العرب قد أخذوا عن اليونان أو الهنود فقد درسوا ما اخذوه واصلحوه واضافوا اليه اضافات هامة تدل على نضج أفكارهم وخصبة قريحتهم • فقد ثبت ان العرب ساهموا فى كشف اللوغاريتمات وكثيرا من قوانين المثلثات حتى انه يمكن أن يعتبر الجبر علما عربيا خالصا كما يعتبر علم الهندسة يونانيا أصلا • وقد أثرت أقوالهم فى البحوث الطبية والهندسية والصناعية لاهتمامهم بالناحية العملية الى جانب النظرية ، وكذلك مهدت بحوثهم وتطبيقاتهم للنهضة الفلكية الكبرى • واهم ما وصلوا اليه قد تم بفضل المراصد التى برعوا فيها •

واذا كان العرب قد قاموا بدورهم بالنسبة للعلوم وانتقلوا بها من مرحلة الى مرحلة وجعلوها تجريبية تقوم على الاستقراء • فقد حققوا مثل ذلك فى ميدان التفكير الفلسفى ، ونقصد الفلسفة بمفهومها الحديث ، حيث نجد ان جهودهم يمكن أن تشطر الى شطرين شطر عبروا فيه عن أصالتهم الفكرية وعن منهجهم الحقيقى فى تحصيل المعرفة وهو المنهج الذى لم يسبقوا اليه ، وشطر آخر تأثروا فيه بعلوم الأوائل ، فنقلوها عنهم مثلهم فى ذلك كمثل الشعوب الاخرى التى تتفاعل ثقافاتها مع غيرها ولكنهم أضافوا الكثير الى هذا القسم واستبعدوا الكثير منه أيضا مما لم يرق لهم ولم يتفق وعقليتهم الناضجة التى تحترم الواقع وتستنير بنور الفطرة •

وكان لكتبهم أثرها الكبير بعد أن نقل بعضها الى اللاتينية كما أثبتنا ذلك وقد انتهى بعض الباحثين المحدثين الى اثبات هذا الاثر واضحا لدى مفكرى العصور الوسطى من رجال اللاهوت المسيحيين ونقصد بالذات القديس توماس الاكوينى لقد طلع هذا المفكر اللاهوتى على قومه بطرق فى اثبات العقائد لم يألفوها أخذها عن العرب على العموم وابن رشد على الخصوص ، وبالذات فكرته عن التفريق بين الممكن والواجب • والحقيقة ان ابن رشد يعتمد فى منهجه على البرهان والعقل لا على أحاسيس غامضة لا يدخل فيها العقل أو البرهان • وذلك لأنه يرى ان الاتفاق بين الدين والفلسفة أمر بديهى فكان بذلك أول فيلسوف حاول معالجة مسائل التقريب أو التوفيق بين الدين والفلسفة معالجة علمية وبرهانية تقوم على تحديد الغاية تحديدا دقيقا بل غاية فى الدقة ، وان ابن رشد أراد أن يستعمل القياس المنطقى ويرده فقال « كيف نحظر على الفيلسوف ما نبيحه للفقيه »

وقد أثبت أن التطور العقلى واجب بالشرع وقد سبقه الى ذلك المتكلمون • فكان هدفه وهدف جميع الفلاسفة والمتكلمين العرب هو بيان ان حقيقة الشرع هى حقيقة العقل أيضا • ولذلك نرى هذا الفيلسوف لا يرفض الكثير من آراء ارسطو التى رأى انها لا تتفق مع الدين ومن أخص ما امتاز به فى معارضته لارسطو مسألة « النفس » •

ووجه الشبه بين آرائه وآراء توماس الاكوينى كبير جدا • فقد اتفق منهجهما واتفقت حلولهما للمشاكل التى أثاروها وهما يعتمدان على مسلمة واحدة فى ان العقل لا يناقض الشريعة ، ويرى الدكتور محمود قاسم ان هذه الفكرة « أولى بها ان تكون لابن رشد منها لتوماس الاكوينى لأن روح الاسلام توجب استخدام العقل فى حين ان المسيحية بسبب ما تنطوى عليه من أسرار تحصر العقل فى مجال هو اضيق على كل حال من المجال الذى يحدده له الاسلام من دون ريب » •

وقد عرض الدكتور محمود قاسم ما ذكره المستشرق المنصف آزين بالاسيوس فى كتابه الذى أفرده لذكر العناصر الاسلامية التى أخذها توماس الاكوينى عن ابن رشد وتبين ان توماس الاكوينى

الى جانب أخذه من كتب ابن ميمون مباشرة قد أخذ عن كتب ريموند مارتن التى نقلهـــا الى اللاتينية وريمون مارتن والقديس توماس الاكوينى من طائفة دينية واحـــدة هى طائفــة الدومينكان · وريموند مارتان أحد ثمانية من القساوسة أرســلهم رئيس كنيسة طليطلة (توليدو) الى بلاد المغرب لدراســة اللغة العربية وكتب الفلســـفة والدين · وقد بين المستشرف المنصف بأدلة حاسمة ونصوص عديدة ان كثـيرا من نظريات ريموند مارتان ماخـوذة من ابن رشــد مثال ذلك نظريته فى العلم الالهى · ويذكر ان ريموند قد ألف رسالة سماها (رسالة الى صديق) على نمط ضميمة فى العلم الالهى كان ابن رشد قد كتبها لأحد أصدقائه ·

وتنتهى الدراسة بأن القديس توماس قد نقل عن فلاسفة العرب وبالذات ابن رشد ·

وهناك فيلســوف أوروبى من المحـدثين وهـو الفيلسوف ســبينوزا فقد تأثر بابن ميمون تأثرا واضحا وان كان قد قام خلاف كبير فيما يتعلق بهذه المسالة ، وعلى العموم اذا كان هذا الفيلسوف قد تأثر بلا هوتيبى العصور الوسطى من اليهود فهل يعــد ذلك تأثرا منه بالتراث اليهودى ؟ ان اغلب لاهوتى هذا العصر قد تأثروا بتيارات فلسفية غير يهـودية اهمها الفلسفة اليونانية التى أتتهم عن طريق كتابات العرب وشروحهم على هذه الفلسفة فالعناصر التى استمدها من التراث اليهودى هى عناصر بعيدة عن الروح اليهـودية التقليدية انهــا عناصر عربية · وكما ذكرت اختلف المفسرون فى فهم اسبيينوزا حتى ان البعض يرى ان مذهبه فى وحدة الوجود لا يرجع الى افلاطون كما لا يرجع الى الفلسفة العربية وانما يرجع الى سوء فهم الشارحين له لأنه لا وحدة وجود لدى اسبينوزا أصلا ·

ويرى البعض الآخر من الدارسين للمؤثرات فى فلسفة ومصادر هذه المؤثرات انه من الممكن ان نتبين أثر العصور الوسطى العربية فى رفع شــان العلم وتفضيله على الاهتمام بالأمور الدينية **لدى هــذا الفيلسوف ، فقد نقل المفكرون اليهود فى العصور الوسطى الاهتمام من وحدة الله الى وحدة الطبيعــة والبحث فى حقيقة تركيب الواقعيات · ولم يكن اهل العصور الوسطى من غير العرب يجرأون على ادماج العلم فى محراب الدين · لقد كان المسلمون وحدهم هم أصحاب هذا الاتجاه وقد عرفه اليهود عنهم ثم عرفه المسيحيون ·**

والحقيقة ان دراسة دور المفكرين العرب والمسلمين فى مجال الفكر التأملى فيمـــا يتعلق بمباحث المعرفة والوجود والقيم وهى مباحث الفلسفة بعد أن استقلت عنها العلوم الأخرى ما زالت دراسات بكرا ولا تتعدى الجاد فيها تبيين اثر اصالة التفكير العربى على بعض مفكرى العصور الوسطى من المسيحيين واليهود كما بينا ذلك ، وقد اهتم المحدثون فعلا بتبيين هذا الدور فى الفكر الفلسفى الاوروبى الحديث وشرعوا فعلا فى دراسة هذه المسالة واتجهت البحوث نحو تبيين هذا الأثر فى أوائل القرن الســابع عشر الميلادى وبالذات الى الفلسفةالحديثة لديكارت ، واهتم البحاث بالوقوع على اثباتات تدل على اطــلاع ديكارت على كتابات العرب المترجمة الى اللاتينية · فالى أن يتم الاهتداء الى ما يدل بصفة قاطعة على صلة ديكارت بالتراث الاسلامى تقول انه اشــتهر بأنه كان فى شبابه القراء الأكبر · الميال الى تحصيل كل معرفة وأنه يجوز بالتالى أن يكون قد وقع على كتب العرب فى مختلف العلوم واهتدى الى الكتاب الكريم وقرأ القرآن · وتبين حكمته فى توجيه الباحث الى النظر والبحث العقلى القائم على الاستفادة بما حبانا الله به من العقل الفطرى ·

وقد يعترض معترض ويقول : انه من الجائز أن يكون ديكارت قد وقع على ذلك من نفسه وانه قد اهتدى اليه بنور عقله الفطرى · وهذا جائز طبعـا ولكن ديكارت كان من الفلاسفة الذين كانوا يهتمون بالاطلاع كما أثبتنا ذلك على كل ما هو معروف من العلوم والمعارف فى عصره ، ويذكر فى سيرته انه لم يترك كتابا الا وقراه ، كما قيل انه لم يستطع أن يستسيغ العلوم اللاهوتية فى عصره مما يدفع الباحث الى التفكير فى انه قد يكون من الدوافـع الى ذلك اطلاعه على طرق العرب المسلمين فى معالجة العقائد الدينية وتعرفه على خطا المسيحيين فى فهمهم لكتب ارسطو ، وخصوصا ان نجاح العرب فى استرعاء نظر اهل الغرب قد ترتب عليه خوف الســلطات الدينية من نفوذ آرائهم بين المسيحيين وقد اشرنا الى عنف الوسائل التى اتخذها رجال الدين ضــد من يشتغلون بفلسفة العربمما يدل على انفلسفة العرب قد هزت الأوساط الفكرية فى الغرب هزات لا يمكن أن تمردون أن يلحظها مفكر متيقظ لأحداث ماضيه وحاضره · مثل ديكارت ·

دكتورة
فوقية حسين محمود

معجزة السد

للشاعر: محمود غنيم

هات ياشعر سحر هاروت هات   صنع السد صانع المعجزات
والسد من صنع بابل الا   وحى شعر من عند هاروت آت
كم رأى الناس من جمال فعالا   كلها من خوارق العادات
بطل كل مستحيل لديه   يتراءى فى حيز الممكنات
هو لم يعترف بلفظ «محال»   فمحاه من معجم الكلمات
لا تقولوا عجائب الارض سبع   انها بعد السد سبع هنات
الصخور الصماء كيف استحالت   خلف اسوان السنا ناطقات ؟
مفصحات عن مجد مصر قديما   وحديثا بمحكم الآيات
بين سد على العباب مقام   وقصور فى جوفه غارقات
قل لمن شيدوا الهياكل فى مصـ   ـر وارسوا اهرامها الشامخات
قد بنيتم باذرع كادحات   وبنينا بالاذرع الكادحات
وبنيتم للموت انتم ولسنا   نحن نبنى للموت بل للحياة
ليس من يبتنى ليحفظ روحا   مثل من يبتنى لحفظ رفات
أيها السد ما عهدناك الا   مصدر اليمن مصدر البركات
نحن من قبل ان نخطك فى الار   ض جنينا تأميم ماء القناة
منعوا درهم فقلنا رويدا   نحن نغنى بالاكتفاء الذاتى
اجمعوا امرهم وجاءوا بليل   فرمى الله جمعهم بالشتات
وظفرنا بدولتين واخرى   هى فى الارض سبة الدولات
ما بنينا سدا ولكن بنينا   مجد مصر ونحن خير البناة
وفتحنا به لمصر كتابا   خالد الذكر مشرق الصفحات
ومحونا عن مصر وصمة عار   برئت ارضها من الوصمات
نحن لو لم نجد لعمرى صخورا   لا بتنينا الخزان بالهامات
وحفرنا انفاقه بالبنان الر   خص أو بالاظافر الناعمات
وجعلنا ملاطه من دماء   غاليات على الحمى طاهرات
وبذلنا عن طيب نفس له الما   ل وعشنا عيش الجياع العراة
غلق اليم ناصر بعصاه   وعصاه ليست من الحيات
بل عصا ناصر تدب على الار   ض رياضا خضراء معشوشبات
وعصا ناصر اذا مست الصخـ   ـر احالته اغصنا وارفات
وعصا ناصر تفل صوراي   خ الاعادى وبيضها المرهفات
انت يا مصر من قديم الليالى   كعبة السائحين والسائحات

او لم يهرعوا اليك وفودا ليزوروا آثارك الخالدات ؟
قل لمن قدسوا فراعين مصر هل رايتم آثارها المحدثات ؟
ايها القوم طوفوا حول مصر الـ يوم فى زى محرمين حفاة
وقفوا خلف سدها فى خشوع وقفة المسلمين فى عرفات
ها هنا الفن قام يروى حديث الـ مجد عنا والفن خير الرواة
ها هنا معبد الفنون لمن را م صلاة فكبروا للصلاة
ايها النيل كم شققت طريقا فى جبال ومهيعا فى فلاة
كم نسفت النجود نجدا فنجدا وقربت الصفاة بعد الصفاة
ماؤك العذب كان فى الصخر امضى من شفار الفئوس فى اللثات
تطأ الصخر فى اناة ورفق فاذا الصخر حفنة من فتات
مالا مواهك العواتى استكانت فى خشوع خلف الصخور المواتى ؟
وقفت خلف سد اسوان حيرى عاجزات مشلولة الحركات
لم تزل تقهر الطبيعة حتى قهرتها ايدى البناة الكماة
ايها النيل - صانك الله عذرا ان نضع فى طريقك العقبات
ما ارانا الا اسرناك اسرا بقيود مشدودة الحلقات
نحن لو نستطيع صناك فى الا ماق بين الجفون والحدقات
نحن من غيرة بنينا سجونا من خدود للخرد الفاتنات
القوارير تحفظ الراح فيا وتصان العطور فى الآنيات
حسبك اليوم ان ماءك حر من قيود المستعمرين الطغاة
تعس البحر وهو ملح اجاج كيف يحظى بوصل عذب فرات
فى سبيل الشيطان مانال منك الـ بحر سحتا فى الاعصر الخاليات
ما قذفنا فى البحر ماءك عذبا بل قذفنا فى البحر بالاقوات
وسقينا الحيتان عذبا نميرا وحرمنا منه جذور النبات
مصر ام الفنون من سالف الدهـ ـر ارونى كمصر فى الامهات
ما بنت سدها بصخر ومرو بل بنته بصادق العزمات
بجهود تحول الترب تبرا وتبث الحياة فى الفلوات
وتشيع الرخاء فى كل واد وتصب الغنى بكل الجهات
نستلها من اكبادنا فلذات نحن نبنى لهذه الفلذات
نحن نبنى لنا ثراء ومجدا ولاجيال بعدنا قادمات
اسعفوا هذه الفيافى بالما ء ورووا اكبادها الظامئات
ان فى باطن الصحارى كنوزا فاكتشفوا عن كنوزها الخلفيات
ثروة الشعب مجده ان اراد الـ مجد والارض مصدر الثروات
ما كريم الاحجار در يتيم لاح فوق النحور واللبات
بل كريم الاحجار ما ادخر الما ء لاحياء كل ارض موات
حجر السد زينة الوطن المحبـ ـوب والدر حلية الغانيات

محمود غنيم

فى الطريق الى السيدة ام هاشم

بقلم : محمد عبد الله السمان

لقيته منذ ايام يسير متثاقلا فى احد شوارع القاهرة ، فى ثياب ريفية تكاد تستجير الله من القدم والبلى ، وفى شبه اعياء كأنما قد نهض منذ ساعات من مرض الزمه الفراش شهورا ، يحمل على كتفه اليسرى قفصا يتصايح بداخله عدد من الفراخ ، ويجر بيده اليمنى شبحا صغيرا هزيلا فى ثياب طفل لم يتخط العقد الاول من عمره ، شاحب الوجه ، ممسكا بيده رغيفا يقضمه قضما فى تؤدة وحذر ، وتكاد نظراته الى الرغيف ترلى كل لقمة منه تدلف الى بطنه ، وحتى ليبدو عليه الحرص كل الحرص على رغيفه الا ينفد .

كان الطفل يتبع والده فى غير تفكر او تدبر ، فهو يسير حيث اراد له ، دون ان يفقه شيئا عن وجهة والده الا ما ترامى اليه قبيل ان يغادر البيت من انه سيزور السيدة زينب ام العواجز ، التى منحته الشفاء من مرض اعجز المستشفى الحكومى فى بلدهم ، كما اعجز حلاق الصحة ، وكتاب الاحجبة والتعاويذ .

سألنى الرجل الذى تخطى الحلقة السادسة من عمره : ابقى الكثير على الست ام هاشم؟ ولما اجبته بأنها دقائق معدودة ، تنهد وابتلع لعابه وهمس بصوت خافت : الحمد لله لم يبق الا القليل ، لقد غادرت القرية منذ الفجر قاصدا زيارة الست رضى الله عنها ، لأوفى بنذر نذرته منذ عام : لئن شفى الله وحيدى هذا ، لأحضرن لها سبع دجاجات سمان .

وواصل الكهل حديثه قائلا

لقد فضلت ان اسعى الى مقام السيدة ام هاشم راجلا لأسباب ثلاثة :

اولها : ما سمعته من ان الثواب على قدر المشقة .

وثانيها : توفير الدراهم لصندوق السيدة .

وثالثها : انى سمعت ان فى يوم الجمعة ساعة نحس ، فخشيت ان تكون السيارة التى سيقدر لنا ان نركبها من نصيب هذه الساعة النحس .

قلت له : اذا لم تكن على ثقة من ان الله ــ سبحانه ــ هو الذى شفى وليدك ، لان السيدة زينب هى التى تولت شفاءه ، فلا اظنها ــ رضى الله عنها تطالبك بأتعابها ، او تلح عليك فى اجرتها ، وما اراك وولدك الا احق بهذه الدجاجات السبع .

فقال فى امتعاض : انا اعرف ان الشافى هو الله ، ولكن آل البيت الاطهار لهم مكانة عند الله ، فهم ليسوا الا واسطة بيننا وبين الله ، وكلمتهم مستجابة عنده .

قلت له : ولكن الله لا يحتاج الى واسطة ، ولا يتوسل اليه الا بالعمل الصالح ، فهو القائل لرسوله ــ صلوات الله عليه ــ « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون**» . ثم من قال لك : ان المخلوق يملك للمخلوق ضرا او نفعا ، والله سبحانه يقول لرسوله : «**وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله** » بل الرسول نفسه على لسان القرآن يقول :

قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء » ويقول لابن عباس : « **واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، وان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك .** » يظهر انك دعوت الله وانت غير موقن بالاجابة فكنت فيمن قال فيهم الرسول : **يستجاب لاحدكم ما لم يعجل : يقول : قد دعوت ربى فلم يستجب لى ...**

قال الرجل ــ وكان حديثى لم يعجبه : الاعمال بالنيات ، واسرع فى خطواته ، ليدرك صلاة الجمعة بالسيدة ، وانا ارمقه بنظراتى واردد قول شاعر النيل رحمه الله :

احياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبالف الف ترزق الاموات

قلت لنفسى : هذا رجل ريفى عذره الجهل ، والخضوع لعادات متأصلة ، وقصور التوعية الدينية عنه ، على الرغم من انه قد اصبح اليوم فى كل قرية عالم لمسجدها تخرج فى الازهر ، وتفقه فى الدين ، ودرس التوحيد الصحيح ، ولكن ما عذر هؤلاء المثقفين الذين نراهم فى القاهرة ولهم شغف بأضرحتها ، يخشعون امامها خشوعهم للصلاة

واكبر ،ويقدسونها تقديسهم للذات العلية واكثر ، ويثقون فيها ثقتهم فى الله واشد ، ويعتقدون انها سبيلهم الى رضا الحق عز وجل ولا سبيل غيرها !

لو فكرت فى ان تجادلهم بالتى هى احسن تصحيحا للعقيدة وحرصا على سلامة الايمان ، لواجهوك بمنطق يفيض عيا ، ويسيل غيا ، تعجز عن مجاراته ، وتفشل فى محاكاته ، **هذا** ان كان بينك وبينهم شىء من الود ، او جانب من الصلة ، **اما** اذا لم يكن بينك وبينهم شىء من هذا او ذاك ، فربما تطاولوا عليك بالسنة حداد ، اتهموك فى دينك بالزيغ ، ورموك فى عقيدتك بالشبهة ، وطعنوك فى ايمانك بالقصور . لانهم يعتقدون ان زعزعة الثقة فى هذه الاضرحة زعزعة فى الثقة بالله ، لان اصحابها هم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ان فى القضية جانبين لهما اهميتهما وخطورتهما : اولهما يتصل بالعقيدة ، والآخر يتصل بالحقائق التاريخية ، وكلاهما فى مسيس الحاجة الى شجاعة العلماء .

اليس من العجيب ان وزارة الاوقاف لم تزل تشرف على صناديق النذور فى كثير من الاضرحة ، وهى تدرك تماما ان النذر عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله وحده ؟

واليس من العجيب مرة اخرى ان تظل فوضى الاضرحة بدون قيود او حدود ، لتروج حولها اسواق الشعوذة والدجل ، والبطالة والتواكل ، حتى ليتيسر لابسط الجهلاء ان يقيم فى اى مكان ضريحا ، ويختار له اى اسم من اسماء السلف ، ثم يعين نفسه بعد ذلك قيما عليه ، ليجمع ما هب ودب من نذور ، وربما طمع بعد ذلك فى اعانة وزارة الاوقاف او وزارة الشئون ؟

لقد حدث فى قرية ميت دمسيس احدى قرى محافظة الدقهلية منذ سنوات ، ان عز على ابنائها الا يكون بقريتهم ضريح لولى تحج القرى اليه ، وفكروا فى ان يختاروا اى اسم من اسماء اصحاب رسول الله ، وكان ان اختاروا اسم **محمد بن ابى بكر** واعلنوا ذلك وبدءوا فى اقامة ضريح يليق بابناء الصديق ، ولكنهم فوجئوا بان التاريخ يذكر ويؤكد بان محمد بن ابى بكر مات ودفن بمكة ، وان الذى استشهد بمصر هو اخوه **عبدالرحمن بن ابى بكر** ، وتيسر لهم فى زحمة الضجيج ، ونسج اساطير الكرامات ان يغيروا الاسم ، وسواء لدى العامة ان كان صاحب الضريح محمدا او عبد الرحمن ، فالمهم الضريح — لا صاحب الضريح — لتحل البركة .. وكفى .!

ان التمادى فى الباطل جزء من المأساة ، فعلى الرغم من ان التاريخ الثابت يؤكد وهو مطمئن غاية الاطمئنان بان السيدة زينب رضى الله عنها لم تحضر الى مصر ، وماتت ودفنت بالبقيع ، الا ان الحقيقة ضائعة وسط غوغاء السذج والبسطاء ، قال المرحوم **على مبارك** فى الجزء الخامس من خططه: « **لم ار فى كتب التواريخ ان السيدة زينب بنت على رضى الله عنهما جاءت الى مصر فى الحياة او بعد الممات** » . وفى العدد الاخير من سلسلة **اعلام العرب** للاستاذ **انور الجندى** عن شيخ العروبة **احمد زكى** ، جاء على لسانه : « الذى يشهد به العارفون بالحق الصريح ، هو ان السيدة زينب بنت الامام على واخت الامام الحسين ، لم تتشرف ارض مصر بوطء قدمها المباركة مطلقا ، مطلقا ، مطلقا .. والحق الذى ليس بعده الا الضلال ، انها قضت بقية حياتها بالحجاز الى ان انتقلت الى جوار ربها بالمدينة المنورة فكان دفنها بالبقيع . . هذا هو الصواب وما عداه فافك وبهتان » .

ويؤكد شيخ العروبة ان هذا الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر فى كل عصور التاريخ الاسلامى الى ما قبل محمد على بسنوات معدودة ، حين وفد الى القاهرة واحد من الاغاوات يدعى **عثمان كتخدا** ، فاغتنى بمصر واحرز ثروة طائلة ، وكان طيب السريرة ، فوسوس له بعض الاشياخ بان يبنى جامعا على ضريح فى تلك البقعة ، ولا ادرى كيف وضعوه لامراة تسمى زينب ثم تسلسلت الاكاذيب فجعلوها زينب بنت على من فاطمة البتول ، ويختم المؤرخ كلامه فيقول : « **من اكذب الكذب ومن منتهى الافك والبهتان ان يقول انسان يحترم الحق ويحترم عقل نفسه ان السيدة زينب بنت الامام على قد اختارت الاقامة بديار مصر ، او ان يزعم بانها هى المدفونة بالقاهرة** »

وبعد — افلسنا فى حاجة الى حركة اصلاحية تجدد للناس دينهم ، وتصفى عقائدهم من هذه الشوائب . ولا اقل من ان يواجه مؤرخونا الراى الاسلامى العام بحقائق التاريخ .

محمد عبد الله السمان



تطور الاتصالات اللاسلكية

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بدأ تفكير الانسان يتجه نحو الفضاء الذى يحيط به محاولا معرفة خواصه مستعينا بحصيلة معلوماته وتقدمه العلمى وقدتمكن بذلك من أن ينشىء النظريات التى توضح المشاهدات وتعلل الظواهر الطبيعية المطردة. وجرت عدة أبحاث فى هذا الصدد الى أن كان عام ١٨٦٧ حين طلع علينا عالم الطبيعة والرياضة الانجليزى كلارك مكسويل يقول بأن تجاربه اظهرت له أن التجاذب والتنافر فى الكهرباء والمغناطيسية يتمان بنوع من الفعل على مسافة محدودة ، ولكنه لم يتوصل لمعرفة سبب ذلك ، الا أنه عاد بعد فترة من هذا الاعلان يقول بأن انتقال الكهرباء والمغناطيسية وكذلك الموجات الصوتية يتم فى وسط أسماه « الأثير » وعرفه بأنه مادة عديمة اللون والوزن وانه يشمل الفراغ كله وكذلك يوجد فى الاجسام الصلبة وعن طريقه ينتقل فيها الرنين .

وعقب ظهور هذه النظرية واكتمالها على هذه الصورة تعرض لها النقاد والعلماء بالفحص والاختبار وفازت أخيرا بالاقرار . وقد أوضحها المثل التالى الذى ينقلها من الصورة الفرضية غير المدركة الى المثل الحسى الذى يقربها الى الاذهان . فاذا قصدنا بركة ماء ساكن والقينا فيها بحجر لشاهدنا أن الحجر بمجرد استقراره فى الماء يكون موضع سقوطه دائرة ينبعث منه عدة دوائر تسير على شكل موجات للخارج تتسع كلما بعدت عن المركز . ويمثل ذلك المثل نظرية مكسويل . فالماء يحكى الوسط الذى تنتقل فيه الكهرباء أو المغناطيسية او الصوت والذى أطلق عليه اسم الأثير . أما الموجات الدائرية فهى تمثل الموجات الصوتية التى يرسل المرسل أياكان نوعه يستوى فى ذلك فم الانسان او أى جهاز ميكانيكى يرسل صوتا .. ويمثل الحجر مصدر الصوت .

وكان ممن اقتنع بهذه النظرية العالم الالمانى « هنريخ رودلف هيرتز » فاعتبرها أساسا صالحا للبحث العلمى فى خواص الموجات الكهرومغناطيسية وقد أسفرت تجاربه عن كشفه لهذه الموجات ونجاحه فى قياسها ، وحقق عن طريق هذا القياس أن هذه الموجات غير المنظورة توافق سرعتها سرعة الضوء فقد بلغت سرعة الدفعات الكهرومغناطيسية ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية وهى نفس السرعة المعروفة لنا من قبل عن الضوء . واستمر فى تجاربه حتى ثبت له أخيرا أن الاشعاع الكهربى يخضع لقوانين الضوء من حيث الانعكاس والانكسار والاستقطاب كما يحدث للضوء تماما ، وفوق هذا فكما يتمثل هذه الظواهر فانه يخضع أيضا لنفس قوانين تحديد زوايا الانعكاس ومسار الشعاع وأثر كثافة الوسط على زاوية الميل . وانتهى المطاف بهيرتز أن أعلن عن رأيه بالنسبة لهذه الموجات واذا به يتفاءل بها ويقول عنها انه يعتقد أن زيادة معدل تذبذبها بمقدار مليون مرة سيؤدى بها الى اكتساح قدرة الضوء وحدوده . وكانت هذه الملاحظة التى ختم بها هرتز نظريته خيالا فى وقتها ، ولم يدر قائلها كم من الوقت سيمضى قبل ان يكتب لهذا الخيال ان ينقلب الى حقيقة . ولو أن من عاش وقت اعلانه لرأيه وجد اليوم وشاهد الانابيب الالكترونية التى تولد القوى الكهربية اللازمة لاحداث الموجات القصيرة التى تتجاوز حدود الضوء كما تنبأ هرتز لأيقن أن هرتز لم يكن يسبح فى خيال حينما قال ذلك .

على أن هرتز أوضح بما لا يدع مجالا للشك وجهة نظره بالنسبة للاشعة، فنراه يقول «تخترق الموجات الفواصل الخشبية والابواب الحديدية • وليس هناك من عجب حين نرى الشرر داخل غرف مغلقة » •

ومات هيرتز عام ١٨٩٤ بعد أن أسلم الشعلة من بعده لفتى ايطالى كان يعكف على قراءة مجلة عن الكهرباء ووجد نفسه مشدودا الى راى هيرتز وكانما أوضح له هذا العالم الخيالات التى تطوف بمخيلته وربط له بين ما يختلج فى نفسه وبين الحقائق التى كشفت عنها تجاربه فى هذا المحيط • لقد كان هذا الفتى هو « جوجليلمو ماركونى » •

وكانت ظروف ماركونى الاجتماعية مواتية فهو ابن رجل ثرى لذا وجد المادة التى تساعده على أن يبدأ تجاربه فى هذا الحقل فنراه يتوجه الى أملاك أبيه ويبدأ تصميم جهاز يقوم بارسال اشارة لاسلكية من طرف هذه الاملاك الى الطرف الآخر عن طريق اشارات المورس وهى الشرطة والنقطة التى اصطلح عليها لتعبر عن الحروف طبقا لشفرة معينة ، ويمكن بذلك التقاط رسالة تتكون من مجموعات من النقط والشرط والعودة الى الشفرة لمعرفة المقابل لها ومن ثم تقرأ الرسالة •

وليعفينى القارىء من أن أسير مع ماركونى خطوة خطوة حتى توصل الى اتمام الارسال اللاسلكى ففى هذا خوض فى خصائص العلم التى لا تهم الا المختصين، وحتى هؤلاء فما أصبحت تهمه تلك الحقبة التاريخية التى لا تشمل الا تسجيلا لمجهودات بدأت متعثرة وانتهت بالجهاز البدائى للارسال وقد أدخلت عليه من التحسينات ما غيره كلية بجهاز الارسال اليوم لا صلة له بالمرة بأول جهاز لماركونى الا من حيث الاساس النظرى الذى يتحدان فيه • وما يهم الاخصائيون اليوم هو معرفة الجديد ومتابعة ما يستحدث من تحسين •

ولم يكن ماركونى الوحيد الذى يكافح فى ميدان المعرفة باللاسلكى فقد كان يقف بجواره علماء آخرون وقدموا له عونا حقيقيا مكنه من الوصول الى انتاج جهازه •• ومن أمثال ذلك ما كشف عنه عالم الطبيعة الانجليزى طمسون عام ١٨٩٧ فقد عرف الالكترونات وان كان قد أسماها « كريات » وقال انها أصغر جزء فى البناء الكهربى للذرة ، ولم يتمكن طمسون من الحصول على « كرية » اذ لم يتمكن من فصل احداها وبالتالى لم يشاهدها ولكنه بالرغم من ذلك دلته تجاربه على وجود أشياء أشد صغرا من الذرة وكانت متحدة الكيان ومتساوية فى الكتلة وبالرغم من اختلاف مصدرها فقد اتحدت فى التركيب والكتلة وكانت أيضا سالبة الكهربية • وقد كان ما سجله طمسون فى الواقع بداية علم الالكترونات فقد واظب غيره على تتبع ما كتبه طمسون وأجروا التجارب التى انتهت بهم الى الكشف عن خواصها والافادة منها •

وتنقل ماركونى ما بين وطنه ايطاليا وانجلترا فى سبيل استكمال جهازه وتوسيع مدى ارساله وتم له عام ١٩٠١ ارسال حرف «س» بالانجليزية معبرا عنه بثلاث نقط وهى الشفرة المقررة له فى اشارات مورس وكان الارسال لمسافة ١٨٠٠ ميل •

ولم تكن وسائل الاعلام آنئذ كما هى الآن لذا لم يكن مستغربا أن يقوم تطاحن بين العلماء على الاسبقية فى الكشف ونرى أن شركة ماركونى للتلغرافات اللاسلكية تقيم دعوى أمام محكمة بروكلن عام ١٩٠٣ ضد الشركة القومية للاشارات الكهربية لان مؤسسها الاستاذ الكسندرستيبانوفيتش بوبوف ادعى بسبقه الى معرفة اللاسلكى، ونجد أن ماركونى وهو المدعى فى هذه الدعوى يقر بأن جهاز بوبوف الذى اخترعه قبل أن يسجل ماركونى اختراعه هو جهاز لاسلكى أيضا • لكن مخترعه قد خصه بتسجيل الكهربية الجوية الساكنة وآثار العواصف الرعدية والبرق • وبذا يكون تسجيله لا يشكل رسائل مفهومة • واستبعد فى نهاية مقاله أن يكون لجهاز بوبوف قيمة • وهذا الصراع فى الواقع يلازم كافة الاختراعات والاكتشافات • فالانسان يستفيد دائما مما وصل اليه سلفه من جنسه قبل وجوده وأثناءه ويقوم باتمامه أو تحسينه أو الاضافة اليه، وليس من المعقول أن يقول فرد أنه استطاع أن يخلد الى نفسه ويخترع دون أن يستفيد من خبرة سلفه ويمحص آراءهم بعد الدراسة المستفيضة •

على أن ماركونى لم يكتف بما وصل اليه من تقدم بل قادته تجاربه الى حقل آخر يحتاج الى مقال آخر

عبد المنعم ابو السعود

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

البحث عن اشكال .. يوقع في اشكال !

انا لا تصدق ما يقال من أن المضمون الجديد يحتاج الى شكل جديد ـ **الا اذا رأينا حقيقة مضمونا جديدا يتطلب الشكل الذى صب فيه ،** وأن هذا الشكل يلبى حاجة ملحة لا تتوافر فى الشكل القائم الحالى .

أما اذا كانت المسالة مجرد بحث عن شىء مثير تلقفه أجهزة الدعاية للكاتب ، تلك الأجهزة المكونة من الأصدقاء وأفراد « الشلة » ومن يخدعهم الكاتب بوسائله التى تختلف من خادع الى آخر ومن مخدوع الى مخدوع .. فتروح هذه الاجهزة تعلن ـ فيما تسميه نقدا ـ عن الحدث الجديد .. والابتكار الذى لم يسبق .. فاذا جئناه لم نجده شيئا ...

اما اذا كانت المسالة كذلك فلا بد ان ناخذ من هذا التهريج موقفا اقل ما فيه ان نلقى الضوء على تلك الألاعيب .

وقد تجلت تلك « **البهلوانية** » فى عدد من المسرحيات التى عرضت على مسارحنا فى هذا الموسم .

وأسارع قبل أى شىء فأوافق ـ ولو جدلا ـ على أن الاشكال التى صيغت بها المسرحيات اشكال جديدة ، حتى بالنسبة للمسرحيات العالمية ، وأنها متطورة من أى شىء مهما كان .. سواء أكان من فنوننا الشعبية أو من أشكال أجنبية .

فليكن أى شىء من هذا ، وليكن كله مجتمعا ، ولكن السؤال المهم فى نظرى هو : **ماذا قالت لنا هذه الأشكال ؟ وهل عبرت عنا ؟ وهل رأينا فيها صورنا ومشكلاتنا ؟ .**



لنأخذ مثلا مسرحية « **الفرافير** » التى ظفرت باهتمام النقاد أكثر من أية مسرحية أخرى ، اذ قام جهاز الدعاية أولا بمهمته خير قيام .. ثم استفز هذا الجهاز ـ بما كتبه ـ النقاد الآخرين ، فهبوا يعارضون ويقولون ما تمليه عليهم ضمائرهم ، وتكون من هؤلاء وهؤلاء تلك « **الهيصة** » التى لم تنته بعد . **ولعل هذا الذى أكتبه من آثارها أو قل ان شئت من جملتها .. وهكذا الاشياء يجر** بعضها بعضا .

يقتضيني الانصاف أن أقول أولا ان هذه المسرحية قد نجحت باعتبارها مسلية وممتعة ، ويرجع الامتاع فيها الى براعة الحوار وظرفه ، مما يمتاز به يوسف ادريس ، ويرجع كذلك الى براعة الممثلين وخاصة الذى مثل دور « **الفرفور** » .

وقد قال يوسف ادريس فى مقالاته ، كما قال جهاز الدعاية ، **انه أحدث شكلا جديدا على مسرحنا ،** وقال المعارضون **انه لا جديد ، أو ان الجديد لم يؤد غرضا كان يفوت بفواته .**

ولا أريد أن أدخل فى مناقشة هذه القضية ، بل أسلم بأن المؤلف أحدث شكلا جديدا فى مسرحنا ، **ويهمنى ان أسلم كذلك بأن هذا الشكل استمد من فنوننا الشعبية كالسامر فى الريف وكحلقات**

الحواة وحلقـات الباعة المهرجين في المدينة . يهمني هذا لأسأل المؤلف : لماذا استلهمت الشـعب في الشكل واغفلته في المضـمون ؟ اى شيء قلته عن اهتماماته وتطلعاته ؟ اى شيء قلته عن التغـيرات السريعة المتلاحقـة في حيـاته ؟ اى شيء قلته عن الانسان الجديد الذى ادهشك وجوده كما قلت في المقال الاخير بالجمهورية؟ اى شيء قلت عن الاشتراكية التي طالبت مرة بان نصوم ثلاثة اشـهر عن كل شيء الا عنها ، فلا غناء ولا موسيقى ولا قصص ولا مقالات ولا ... ولا ... الا فيها ؟!

وليتك سكت عن الاشـــتراكية .. ولا اريد أن استعدى عليك ، فلن تبلغ هذه الكلمة شيئا ممـا بلغته المسرحية من الذيوع .. وأنت تعـلم أنى مخلص فيما اكتبه غير مرض لك .. نعم ليتك سكت عن الاشتراكية ، ولم تهاجمها برفض علاقة الرئيس بالمرءوس في اطارها .

فالمؤلف اذن لم يقدم مضـمونا من اهتمامات الشعب يحتاج الى البحث عن شكل يناسـبه .. نعم ، قدم لنا في أول المسرحية « قائمة » نقدية جريئة لكل المهن ، ولكن هذه القائمة كانت على الهامش ، وكانت مباشرة اى في غير تجسـيد مسرحى . ثم عرض الموضـوع ـ وهو العلاقة بين السيد والمسود ـ عرضـا ذهنيـا تجريديا ، بل القاه علينا القاء .. قال لنا من البدء :

« قرب يا جدع .. اتفرج على المشكلة .. »

واستمر العرض يقول لنا :

« هنا مشـكلة .. اللى يحب النبى يفكر في المشكلة .. الجدع يحل المشكلة .. »

ولما انتهت المسرحية خرجنا وكان صوتا ساخرا يصيح وراءنا :

« هيه .. وضحكنا عليكم .. ولا فيه مشكلة ولا حاجة .. »

والصوت الأخير هو أصدق الاصـوات ، فلم **تعرض علينا مشكلة ناجمة من حادث حيوى يجرى في مكان ما من الأرض ، ونستطيع من خلاله ومن معايشته ان ندرك المشـكلة ونقتنع بها . بل طلب الينا ان نعلم ان هناك مشكلة ، وفرض علينا حلها .**

وقد راح « جهاز الدعاية » يفسر « المشكلة » أو « اللامشكلة » تفسيرات مختلفة ، كان منهـا أن المؤلف يدعو الى الحرية الفردية المطلقة . وبناء على هذا التفسير قال الاستاذ محمود أمين العالم في ندوة من ندوات مسرح الحكيم :

انه رأى في الشكل ما يشبه الحلقة التي تجتمع في الشارع حول « الحاج محمود » وهو يخطب محاولا أن يقنع الناس بفائدة « الشربة » التي يبيعها بقرش صاغ واحد محبة في رسول الله .. ويؤكد انها تقتل الدود . وسجل الأستاذ العالم بهذا نجاح المؤلف في محاولته الأخذ الشكل عن الشعب .

ثم قال : ولكن المضمون ـ من حيث انه يدعو الى الحرية الفردية التي تناقض المسئوليات الاجتماعية ـ مضمون مخرب ، **و « الحاج محمود » يقنعنى احيـانا بشراء الشربة وانا على يقين من أنها لا تقتل الدود ، اما « الشربة » في المسرحية فانها ليست فقط لا تقتل الدود ، وانما هى تستنبت الدود ! ..**

وانا اقول للأستاذ العالم :

لا ، اطمئن .. فان «الشربة» لا مفعول لها مطلقا ، لأن المضمون لم يستنبت في بيئة مسرحية صـالحة للاستنبات .. لم تستنبت « المشكلة » في حدث أو موقف يمنحها الحياة . ويجعلنا نشعر بها ونفـكر فيها .

ونعود الى موضوعنا الاصلى ، بعد هذه الوقفة التي وقفناها مع « الفرافير »كمثال للمسرحيـات التي عرضت على مسارحنا أخيرا في أشكال ادعى اصحابها انها جديدة وأنهم ابتدعوها لمضـامين جديدة .. والواقع أن هؤلاء المؤلفين وقعوا فريسة لقضية غريبة **هى أن المؤلف لا يعد مؤلفا عظيما الا اذا ابتكر شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مالـوف .** فجعلوا يستهلكون طاقاتهم في البحث عن أشـكال جديدة لا لمضمون اجتماعى يرون أن الشكل التقليدى لايلائمه ، ولا يفى به ، بل لمجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار الى أنهم عباقرة .. وفاتهم أن المضمون الجديد الجيد الذى يملأ الشكل التقليـدى أهم بكثير من استحداث شكل جديد .

واذا عدنا الى يوسف ادريس كمثـال أيضا فاننا

نرى أنه منذ حول جهده الأدبي من الشكل التقليدي للقصة القصيرة والابداع في صب المضمون الجيد فيه ، الى المسرحيات والعناء في البحث عن اشكالها التي أوقعته في اشكالاتها ـ منذ ذلك الحين وهو تائه ضائع ٠٠ لم يظفر الا بالشهرة الزائفة ٠

وانى اقول له مخلصا انه عندما يكتب اسمه فى تاريخ الادب فلن يقرن بشىء يساوى قصصه القصيرة ٠

الأميرة ٠٠ لجنة القصة !

اللجنة التي تؤلف عادة في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ لفحص القصص المقدمة لنيل جائزة الدولة التشجيعية ـ تلتزم عادة قاعدة استبعاد القصص التي يكون حوارها مكتوبا باللغة العامية ٠ وهذا الالتزام يوقعها دائما في حرج لأن معظم الانتاج القصصي يدور حواره باللغة العامية، والقليل ـ ومنه قصص أعضاء اللجنة القصصيين ـ بالفصحى ٠

ووجه الحرج أن اللجنة اما أن تعلن افلاس الحركة القصصية التى هى عندنا الآن فى أوج ازدهارها ونمائها ، فتقول : ليس هناك ما يستحق الجائزة ٠٠ واما أن تمنح الجائزة لانتاج ضعيف ٠

وليس في الحالين ماتحسد أو تغبط عليه اللجنة٠٠ فهي في الحالة الاولى تكون خجلى ٠٠ وفي الحالة الثانية تكون خجلى أيضا !

وفي هذا العام ٠٠ ماذا صنعت ؟

التزمت نفس القاعدة طبعا ، ثم نظرت فيما أمامها أو فيما عليه عينها ، بعد ان استبعدت ما تستبعده عادة ، فوجدته مختلطا٠٠ بعض قصص المجموعة فصيح الحوار ، وبعضه عامي ٠ ولم يعيها الحل ، اذ قررت أن تغض الطرف عن النوع الثاني ، وتنظر في الباقي من النوع الأول ٠٠ هل هو في حجم يملأ العين ؟ فاذا كان كذلك فهو يستحق الجائزة ٠٠ وحددت الحجم الذي يملأ العين بمقدار معين من الصفحات ، وطبقت هذا على ما هو أمامها وما عليه عينها ، فرأته أقل من النصاب ٠٠ وجاءت الفتوى قائلة :

ان الصفحات صغيرة الحروف تستوعب كثيرا من الكلام الذى لو بسط لانداح فى مساحة أكبر ٠٠

قال أحد الأعضاء :

ـ طيب (طيب هذه فصيحة ٠٠) هل تعلن اللجنة أن جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب هذا العام منحت لجزء من كتاب دون الجزء الآخر ؟! ٠٠

وقالت الأغلبية بعد أن حكت رأسها :

ـ تنبه للجنة على أن المؤلف اذا طبع المجموعة طبعة اخرى يجب أن يحذف منها القصص غير المجازة ٠

قال العضو (المتأكف) :

ـ واذا لم يطبعها ٠٠ ماذا نقول لمن عندهم الكتاب، وللمكتبات التى تبيعه ؟ ٠

وقالت اللجنة باللغة العامية :

ـ ما يهمش !

وكانت اللجنة بهذه الكلمة العامية أفصح من الأمير في حكاية « الأمير والفلاح والحمار » ٠

فقد زعموا أن اميرا خرج يتنزه ، فرأى حمارا يدور في ساقية ، وقد علق برقبته جرس ، فوقف يتأمله مفكرا وان كان الأمراء عادة لايتعبون أنفسهم بالتفكير ولمح الأمير صاحب الحمار الفلاح ، فقال له :

ـ لماذا تعلق الجرس برقبة الحمار ؟

ـ يا افندينا ٠٠ لأنى اذا كنت نائما وسكت الجرس أعلم أن الحمار وقف ٠٠ فاقوم واستحثه ٠

قال الأمير :

ـ واذا وقف وجعل يهز رأسه ؟ ٠٠

فقال الفلاح الذي طالما وصفوا ذكاءه بالخبث والمكر :

ـ من لى بحمار عقله مثل عقل افندينا ! ٠٠

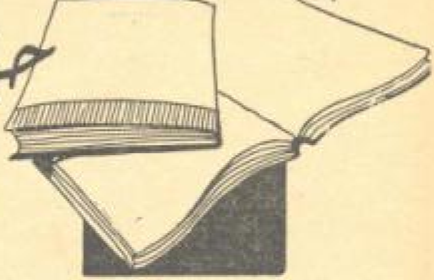
كانت اللجنة أفصح من الامير ، لأنها فطنت الى وجه الاعتراض ، أما الامير فقد اكتفى من اجابة الفلاح بالجزء الخاص بالثناء ، وهو أن ما يهتدي اليه بعقله لا يدركه الحمار ٠٠ ولم يفطن للباقي ٠

مسكينة اللجنة ٠٠ لأنها في حرج ٠٠ ولا مخلص من هذا الحرج الا بأحد أمرين :

اما ان توجد لها حركة قصصية تتفق مع عقليتها ، واما ان توجد للحركة القصصية لجنة ليست صاحبة سمو ٠٠

عباس خضر

بقلم عبده بدوي



حول الأدب فى أسبوع



رفض الرفض :

فى بلادنا اليوم اهتمام بشعراء « الرفض » ، وتتبع لكل ما يقولون ، فما تكاد تولد قصيدة فى لبنان حتى تجد سدنة لهذه القصيدة يعملون على اضاءة كافة جوانبها ، وعلى الخروج من مناخها بانها الشعر الذى لا شعر بعده ، ثم يكادون يشدون الشعراء شدا ليقولوا لهم « ارفضوا انتم الآخرون كل شيء فى نفوسكم وكل شيء حولكم لتكونوا شعراء » .

والدعوة لهؤلاء الشعراء ربما تكون نوعا من « رد الجميل » ذلك انهم يتلقون انتاج « السدنة » فى بلادنا ، ويكافئونهم بالمكافآت السخية ، ومن ثم يعمل هؤلاء بدورهم — كل حسب مقدرته — بالشرح ، او التفسير ، او اكتساب مناطق جديدة لهذه الموجة .

ونحن لا نحكم على « شعراء الرفض » من خلال الموازين السياسية او الاجتماعية ، ذلك لانهم هم انفسهم لا يلقون بالا لهذه الموازين ، **فيوسف الخال** حين يساله المحرر الادبى لجريدة الهدف عن الموجة السائدة فى العالم العربى التى تتحسس القضايا القومية وتخدمها «نراه يقول» هذه الموجة هى من جملة العقبات التى تعترض نهضة الادب العربى والفن العربى وبالتالى الحياة العربية فى الوقت الحاضر ، فاصحاب هذه الموجة يسيئون الى هذا كله من حيث يتوخون واهمين الخير له ! »

اما الشاعر **على احمد سعيد (ادونيس)** فهو يرى انه ليس للعربى من حركة فى القرن العشرين الا القشرة والجلد ، وانه ليس الله او العالم عندنا هو الميت فقط لان الانسان نفسه ميت ايضا ، كما يذهب الى ان القرآن الكريم لا جديد فيه لانه لا يخرج على الصعيد الثقافى عن كونه « خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التى نشأت قبله » وفى الوقت الذى يأخذ فيه بخناق الاسلام نراه يهلل ليوسف الخال فى مقال له لانه فاتحة التجربة الشعرية المسيحية فى القرن العشرين ، ولانه يأتى بشعر جديد للايمان المسيحى .

ونحن لا تعنينا كذلك الاخبار التى تناقلت عن تركة الاسلام الى الكاثوليكية ، او قوله مجاملا لبعض الاصدقاء ، انه رجع عن كثير من معتقداته .. لان الذى يعنينا فقط البحث عن جذور هذا الرفض الذى رفعه « راية وانجيلا » على حد تعبيره ولعل صديقه « حليم بركات » يعيننا على هذا حين يذكر ان « ادونيس » ما تغنى بالرفض الا ليعينه على نحر الثور البرى الذى يتمثل فى « التراث ! » .

ثم لانه رفض وحدة بلاده سوريا مع الجمهورية العربية المتحدة ، ورأى انها وقعت فى عصر الارهاب وسمى العصر الذى مر عليها — فى حالة الوحدة — بعصر الحذاء الذهبى .

« اترك الوطن المليء بالسواد
حيث لا مكان يغشى
حيث لا مكان حتى للريح »

ثم انه يرفض الحضارة العربية ويراها قوالب ، وسلفا ، وسلاطين ، واقنعة .

ولانه لا يحمل فى اعماقه يأسه فقط ولكن يحمل الى جانبه يأس الاجيال المقبلة .

وفى ضوء هذا يسقط على شعره ظلان عميقان هما فينيق والصلب ، وهما رمزان للنار وللبعث

« غير انى شاعر اعبد نارى
واحب الجلجلة »

والامر لايقف عند يوسف الخال او ادونيس ، وانما يتعداهما الى عدد من الشعراء .

فالشاعر انسي الحاج يقدم لنا نهاد خياطة ، بانه انسان قلق يائس .. متمرد .. لا قيمى

الشاعر عصام محفوظ يقدمه لنا نبيه غطاس على انه يشرح ويبرز صورة للحياة يرفضها هو نفسه ، بالرغم من سلبيته فى النظر اليها ، ثم انه لا يعرف الحياة فى الامام وانما فى الوراء ، ويمكن ان نرى هذا فى اقوى الابيات التى استشهد بها الناقد وهى .

« تهديت فوق الليالى القنطرة
وانحل خصر الشارع ..
ندامه ومغفرة
بارك على هذى القرى
هذا اوان المسخره
والجوع يبرى قبة المكان
والعطش
يقور الليل صلاه
اسفنجه
تقىء فى مسامعها الحياة .

والشاعر شوقى ابى شقرا يقول كميل سعادة عن مجموعة شعر له بعنوان شعر جديد فى نثر جديد « الكتاب ذو حدة لا تدرك الاحدسا فتارة يكون الشاعر منطرحا امامك هنا ، ثم لا تلبث ان تراه يرتمى هناك فتظن انه ضاع او بدا يهذى .. الخ » ومهما يكن من شيء فنحن لاندعو الى « مصادرة » لهذا الشعر ، ولا نقول ان وراءه حركة تمويل مشبوطة ، وان اكثر الذين يقومون عليه ضد الامانى العربية ، وضد الحس الثورى الذى يعيشه الانسان المعاصر .. ولكنا فقط نلقى « بعض الضوء » على الذين يغنون للرفض فى لبنان ، والذين يصفقون له فى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم يتنادون بصوت مروع — لعله صوت الشيطان نفسه — الى هذه الوليمة الشعرية فى الظلام .

حب بلا حدود :

لا يعنينى ان يقول الارديس نيكول « انه يمكن تسجيل هذا العصر فى تاريخ المسرح على انه عصر رجل واحد هو جورج برناردشو » ولا يعنينى انه كان فى شبابه من عهد الغلبية ، وانه سخر من اشياء كثيرة من حوله ، وحطم المفاهيم التى كانت سائدة فى عصره ، ثم اخيرا انه ملأ الحياة بفنه وبفكره ، ذلك لانه كما قيل عنه « كالغابة لاتستطيع ان تحيط بها لما فيها من اشجار متنوعة ، كل منها يستحق الاهتمام » .

اقول ان هذا لا يعنينى لانى وجدت نفسي اقف عند دور الشاعر « ميربانكس » فى مسرحيته « كانديدا » التى يقدمها المسرح العالمى على مسرح الازبكية ، والتى نرى فيها « كانديدا » زوجة القسيس رغم انعطافها نحو الشاعر ، واقتناعها بامتيازه ، الا انها ترفضه فى آخر الأمر لا لدافع اخلاقى ، وانما لانها تحس انزوجها فى حاجة اليها .

فعلى الرغم من ان « شو » سخر من اشياء كثيرة فى المسرحية ، الا انه كان يخيل الى انه كان يتعاطف مع الشاعر ، ولعله كان لا يعنى الشاعر قدر عنايته بالفنان مطلقا ، ذلك لان نهاية قصة « الحب بين الفنانين » يكاد يكون نفس نهاية كانديدا « كلاما وموقفا » .

ومهما يكن من شيء فقد كان الشاعر من خلال الزوج وسكرتيرته والزوجة ووالدها .. الولد الرائع الساذج الذى يعجز حتى عن محاسبة سائق التاكسى ، والانسان اللطيف المهذب الذى يكاد يموت من الرعب حين يجد اى نوع من انواع القسوة ، ثم هو فى نهاية الأمر قرد ، وعبيط ، ومجنون ، ومع ذلك فروح الله تسكن فى نفسه .

اما الشاعر من خلال تحديه للزوج ، وتودده للزوجة ، فنجده فى تلك العبارات التى تقول .

« احس بالخوف ومع ذلك فسوف اهز اعماقك .
انا احب زوجتك .. اما انت فلا تشاركها رايا ولا احساسا انت لا تطعمها غير البلاغة والمواعظ .

.. كنت ابحث عن الحب وقد وجدته فى نفوس الآخرين بلا حدود .

الشعراء يتحدثون عن انفسهم بصوت عال ، ولكن « الوحدة » تقتلهم انا الآن فى السماء .

احس الآن انى اقدم من الارض ، ومع ذلك فقد كنت فى الصباح فى الثامنة عشرة ! »

ان الشاعر هنا هو « سارق النار » ، ولا بد له من مغادرة السعادة بعد ان حط فى عشها فترة من الزمن ، ذلك لان هذا العش لرجل الدين ، اما الفنان

نعشه الحياة ، ومن هنا نراه يطارد عن العش الذى لم اجنحته فيه بارق ماتكون الكلمات ، لقد عثروا عليه فى اول الامر على « الرصيف » الصغير لاحد الشوارع ، والآن بقى عليه ان يطارد للرصيف الكبير للحياة .. لانه يحمل نوعا غريبا من الحب لن يوجد فى قلب امراة ، ولكن فى كل نفوس الآخرين ! ومع ان الزوجة حين تطلب عطاءه — بعد ان طلبته من زوجها — يقول «ضعفى ، وحرمانى ، وحاجة قلبى» الا انه يظهر فى نهاية الامر انه هو الانسان الاقوى وهذا هو الاكتشاف الجديد فى المسرحية ، لانا طوال عرضها نحس ان الشاعر طو الضعيف ، ومع ذلك يقنعنا « شو » فى الفصل الاخير بانه هو القوى ، وانه لاخوف عليه من مواجهة الحياة .. ومن ثم يغلق الباب وراءه على الزوجين ، ويعانق الحب الذى بغير حدود !

فى مسرح الحكيم ..

مرة ثانية نعود الى المناقشات المثمرة التى تثور فى هذا المسرح بمناسبة تقييم العام المسرحى ١٩٥٣ و١٩٥٤ ، ومرة ثانية نحيي هذا الجهد الذكى الذى يعتبر الثقافة قلقا وحوارا ، لا مجرد استمتاع على مقعد مريح .

واذا كان اللقاء حول « الفرافير » كان حادا ، فان اللقاء حول « رحلة خارج السور » كان لا يخلو من هذه الحدة الفكرية التى نحتاج اليها الآن بعد ان عشنا فترة لا نسمع فيها الا المجلجلات الزائفة ، والكلمات المفرقعة .

ولقد اعترض فى اول الامر محمود امين العالم على الذين ذكروا ان المسرحية طريق وشكل جديد للمسرح المصرى ، ثم ذكر ان موضوع المسرحية واضح ، ولكن التجسيد المسرحى هو الذى اعطى الغموض «الذى يلف المسرحية ، واعطى « التداخل » والتقاطع » فى الحوار الذى اذا كنا نسمح به ليونسكو وبيكت لان طبيعة موضوعاتهما تستدعى ذلك ، فانا لا نسمح لرشاد رشدى بذلك لانه حين يقدم على هذا العمل يقدم فى الوقت نفسه على خنق موضوعه البسيط الواضح ، الذى يتخلص فى الانسان الذى يستسلم خلف السور للشر «ويغنى له» والانسان الآخر الذى يكتفى من وراء السور بارسال التمنيات الى حيث الياسمين الذى لا تخنقه الافاعى .

ومن هنا فالمؤلف يعطينا رؤيا عاطفية فردية حالمة تشبه الشعراء الرومانتيكى ، بدلا من ان يعطينا تلك الرؤية الثورية التى تذكرنا برؤية نعمان عاشور فى « الناس اللى تحت » او بدلا من ان يعطينا وحدة الاداء الفنى اعطانا اكثر من مستوى من مستويات العمل الفنى فيها ، « قعدة عرب » ومواقف واقعية تقرب من الابتذال ، ومواقف خيالية تقرب من الشعر .

وقد رد على هذا الدكتور رشاد رشدى .. بان ما ذكره محمود امين العالم يرجع الى ثقافته ومزاجه المادى ، وانه يرى ان كل موضوع يحدد شكله ، وانه اذا كان هناك غموض فلانا تعودنا على رؤية المشكلة تتأزم ، ثم تحل ، بينما مضمون المسرحية لا يقبل الحل ، وان الغموض فى الفصل الاول قصد اليه اما « تداخل الحوار » فشيء لابد منه لان الخط الغالب على المسرحية هو السخرية من المآسي الموجودة على النطاق الفردى والجماعى فى المسرحية .

.. ثم ذكر ان المسرحية تركيبية وليست تحليلية وانه لم يقصد الى المفهوم الثورى كما اراد «العالم» لان الصراع فى المسرحية يبدا بعد الانتهاء منها ، وانه فى الوقت نفسه لايؤمن بان العمل الفنى مكلف بايجاد الحلول الاجتماعية .

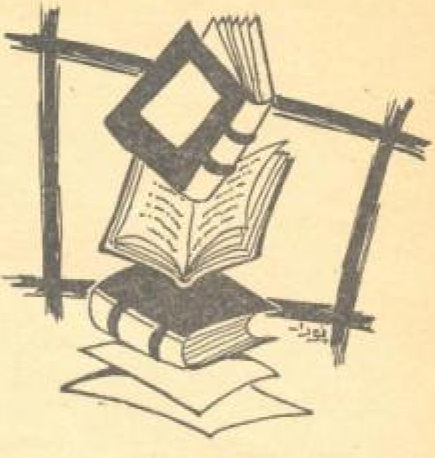
وبالرغم من ان اعضاء الندوة كانوا شبه « معسكرين » الا انهم كانوا حريصين على الا يغضب بعضهم بعضا ، صحيح ان الدكتور رشاد رشدى كان يبدو فى حديثه منفعلا ، وانه ختم هذا الانفعال بقوله « انه لا يستطيع ان يخطب كما يخطب الاستاذ محمود العالم » .. الا ان مما لا شك فيه ان كلا الطرفين قد ادلى باراء قيمة ، وان كانت بعض الآراء قد جاءت متناقضة ، ففى الوقت الذى لم يوافق فيه محمود امين العالم على تداخل الحوار ، راينا الدكتور لويس مرقص يذهب الى انه « تكنيك موسيقى » فى المسرحية ، وحين كان « العالم » يقول بعد كل فترة « اللهم هبنى ان افهم » كان سمير سرحان يحاول ان يؤكد انه يفهم كل نبضة فى المسرحية ، وعندما اكد العالم دور المضمون وثوريته ، وعالج ميخائيل رومان الشخصيات من خلال البيئة البرجوازية ، ابصرنا الدكتور عزيز سليمان يورد ما ذكر من ان الموضوع يسعى الى الشكل كما يسعى الرجل الى المراة ، وان الفكرة العامة هى «الحنين الى الخلاص» وهى فكرية عاطفية لا تودى بالثورية .. كما سمعنا ان المسرحية «متركبة» فى مقابل القول بانها «تركيبية» ، وانها تقدم حلا خطابيا فى مقابل القول بانها لم تات بحل .. ومع ذلك فهناك الجديد دائما فى هذه الندوة .

عبده بدوى



١٠

الكتب
نقد وتعريف



بقلم
تحسين عبد الحى

شعب فلسطين فى طريق العودة
تاليف : عدلى حشاد

الكتاب كما يقول المؤلف فى مقدمته .. عرض موضوعى لأكبر مؤامرة نسج المستعمرون خيوطها فى القرن العشرين .. وقد بين الكتاب ان كل ما حدث فى فلسطين وفى المنطقة العربية قد تم وفق خطة مرسومة بعيدة المدى، استخدمت خلالها أسلحة الغدر والخديعة دون اعتبار لأى مبدأ من المبادىء الانسانية ، ولا لأية شريعة من الشرائع الديموقراطية التى يتشدق بها الغرب .

وقد قدم المؤلف وثيقتين توضحان الى اى مدى كان المتآمرون قد حسبوا حسابا لكل شىء منذ القدم . مستغلين حالة العرب بعد خروجهم من ظلمات العهد العثمانى - موغلين فى اثارة الخلافات بينهم حتى لا تتجمع قواهم ، وحتى لا يكون فى مقدورهم مواجهة التنظيمات الصهيونية التى تعتمد على تمويل الدول الغربية واسلحتها ونفوذها ، كما توضح الوثيقتان ايضا أهمية تغلغل النفوذ الصهيونى فى العالم الغربى .

والوثيقة الاولى هى تقرير بانرمان - الذى عرف باسمه وكان رئيسا لوزارة حزب الاحرار فى بريطانيا سنة ١٩٠٧ .. وقد كون بانرمان لجنة ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والزراعة والاستعمار لدراسة الاحوال الخاصة بالامبراطورية البريطانية .. وقد حدد « بانرمان » مهمة اللجنة فى خطاب وجهه الى الاعضاء .. جاء فيه :

« .. ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول - فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن ان تحول دون السقوط والانهيار - أو تؤخر الاستعمار الاوربى ..؟ »

وعكفت اللجنة على دراسة تاريخ الامبراطوريات الماضية وتأملوا وضع الامبراطوريات الحاضرة وكيف يمكن ان تدوم ، ومن أين يمكن ان تأتيها المخاطر ، واستخلصوا خطة المستقبل التى اوصوا بها ..

وقد جاء فى تقرير اللجنة « ان الخطر المهدد يكمن فى البحر المتوسط - همزة الوصل بين الشرق والغرب، وحوضه مهد الاديان والحضارات ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان والآمال وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ،

هذا فضلا عن نزعاته الثورية ، وثرواته الطبيعية ، ثم تساءل التقرير عن نتيجة دخول الوسائل الفنية الحديثة، وآثار الثورة الصناعية الاوربية فى المنطقة، وانتشارالتعليم فيها ـ وأجاب التقرير عن التساؤل السابق فذكر انه اذا حدث ما سلف ـ اى انتشار الصناعة والتعليم فستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية » .

واقترح التقرير لمعالجة ذلك ضرورة العمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة وضمان تأخرها ، وبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتناحر . وكذلك ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ، واقترحت اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ، ويربطهما معا بالبحر المتوسط ـ بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار معادية لسكان المنطقة .

وبعد نشر تقرير « بانرمان » اتصل الصهيونيون بالانجليز ، واستغلوا ما ورد فى التقرير ، لاقناعهم بأن انشاء الوطن القومى الصهيونى بفلسطين هو خير ضمان لمصالح الاستعمار البريطانى ونفوذه فى المنطقة .

اما الوثيقة الثانية فهى مذكرة بعث بها الكولونيل ماينرتساجن سكرتير قيادة الجنرال اللنبى فى القدس الى الحكومة البريطانية ، فى الوقت الذى كان جيش الجنرال اللنبى يعتبر الجناح الغربى للثورة العربية التى زحفت من بطاح مكة الى جبال طوروس طاردة العثمانيين أعداء الحلفاء الغربيين من هذه المنطقة كلها. وملخص ما جاء فى مذكرة ماينرتساجن ما يلى :

١ ـ ان بريطانيا تشير بحكمة زائدة لانشاء الوطن القومى الصهيونى فى فلسطين .

٢ ـ ان بريطانيا لا تستطيع البقاء فى مصر الى الأبد .

٣ ـ ان ثمة قومية عربية وقومية يهودية متعارضتين ، وقد وصف الأولى بالكسل والخمول ـ ووصف الثانية بالحيوية والنشاط .

٤ ـ ان اليهود يمتازون بولائهم لبريطانيا فى حين أن العرب سلبيون ازاءها .

٥ ـ ان القومية العربية ستطور الى مرحلة المناداة بالسيادة من المحيط الى الخليج .

٦ ـ ان الصهيونية لن تضير بريطانيا فى شئ.. فهى ستتوسع على حساب العرب وحدهم .

٧ ان مصر هى العدو الاكبر والأقوى لليهود .

٨ ـ ان خسارة بريطانيا لقناة السويس ستفقدها مراكزها فى الشرق الاوسط ، ولذلك يجب ضم سيناء الى فلسطين لاحباط اية محاولة مصرية لاغلاق القناة .

ومن هاتين الوثيقتين ـ وخطوطهما العريضة بدا التآمر الاستعمارى الصهيونى ينفذ مخططاته الرامية الى تجزئة واضعاف وطننا العربى .. مما سهل لها بعد ذلك سلب فلسطين واقتطاعها من وطننا لكى تكون وطنا للصهاينة المعتدين .

وبعد : فلاشك انه مهما طال بنا الحديث عن مسئولية بريطانيا ودول العالم الغربى ـ عن الحالة التى وصل اليها شعبنا العربى فى خلق وتدعيم الكيان الاسرائيلى المزعوم .. فان هذا الحديث فى رأيى ـ يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل ـ وهو فى نفس الوقت ليس فى حاجة الى اثبات .. لانه ما من مواطن من ابناء شعبنا العربى الا ويدرك ذلك تماما .. وأعتقد أن المؤلف يتفق معى فى الرأى القائل بأن امتنا العربية وقد دخلت مرحلة المواجهة الحقيقية للخطر الصهيونى فى فلسطين ـ قد أصبحت فى حاجة ماسة الى فكر جديد أكثر خصوبة وتعمقا من ذلك الذى كنا نقدمه ومازلنا نقدمه لجماهير شعبنا .. وقد قلت قبل ذلك فى العدد ـ ١٠٦٠ ـ من مجلة الرسالة :

ان اليهودية العالمية تواجه العالم بفكر مدروس ـ حتى ولو كان مزورا مدسوسا.. ولكنهم يجدون دائما المبررات التى ان لم تقنع القارىء بما يريدون فانها على الاقل تتركه حائرا .

ومهمة المفكر العربى فى منتهى الدقة والخطورة — اذ انه مطالب بان ينقذ هذا الخاثر قبل سقوطه تحت التأثيرات الدعائية للصهيونية العالمية ..

لقد استطاع المفكرون اليهود أن يزوروا الكثير من الحقائق — ولدينا نحن من الأدلة الثابتة مايدحض افتراءاتهم ولكن — كيف يتأتى لنا ذلك ونحن نعيش على سرد ما مر بنا من أحداث كنا فيها ضحية ظروف مرحلية ؟

لقد استطاع عشرات من المفكرين اليهود ان يبدلوا الطابع الدينى ، الذى عاش اجيالا عديدة على شكل تضرع وتوسل لقوة فوق الطبيعة ، ليتخذ شكلا سياسيا وطنيا — ثم تحول الوعد الالهى المزعوم الى دافع داخلى عند اليهود يغذى اراداتهم وينظم قواهم ..

منهم على سبيل المثال — لا الحصر — موشى هيس — وليون بينسكر ، وناحوم سوكولوف — واليعازر بن يهودا وحاييم نخمان بياليك — وهيرمان شابيرو — ويعقوب بوروخوف — ، ا.د. غوردون.

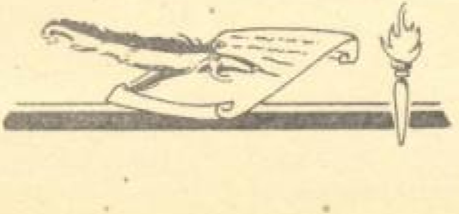
لقد وضع كل من هؤلاء لبنة فى بناء الفكر والتنظيم اليهودى ذلك التنظيم الذى تبلور فى صورة الاحزاب القائمة فى فلسطين المحتلة .. وجميع أحزاب اليهود ليست منظمات سياسية كما تعرفها — بلاد العالم الأخرى — ولكنها تمثل وجودا غازيا معتديا متكاملا فى تنظيمه وشكله واساليبه . فهى تملك مئات المستعمرات وفيها أنظمة اجتماعية مختلفة لتسهل على سكانها اختيار الوسط الاقرب الى ثقافتهم ومصلحتهم — ولهذه الاحزاب شركات تجارية ضخمة تعمل فى الهندسة والبناء والنقل . ولهذه الأحزاب مصانع تعد بالعشرات وتعمل فى شتى الاختصاصات والميادين ولهذه الاحزاب مدارس خاصة تثقف اعضاءها والناشئة بمواد مختارة — لتزيد فى حقدهم ولؤمهم وغدرهم وهى تتبارى فى هذا المجال .

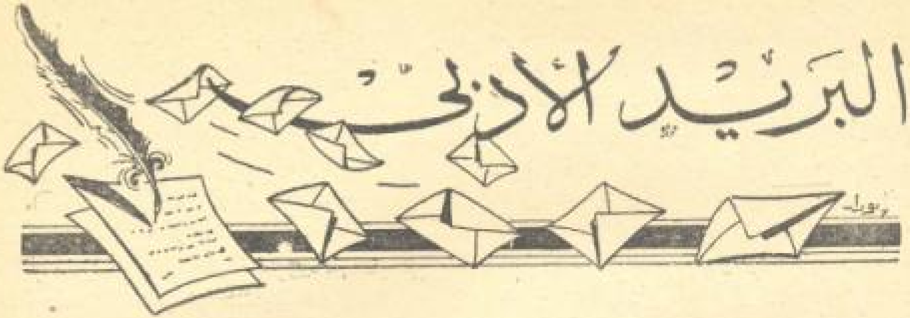
هذه الاحزاب كلها ، بقياداتها وقواعدها ، بمنظماتها ومؤسساتها المختلفة — تمثل شعبا غازيا دخيلا لا مجال لوجوده على أرضنا — ومن ثم يجب البحث فى هذه التنظيمات لكى يستطيع المفكر العربى أن يقدم لجماهير شعبنا المتطلع الى يوم الثأر المجيد — المزيد من الدراسة والقاء الضوء المصحوب بدرجة الرؤيا الواضحة — لمعرفة طبيعة العدو الذى سوف يحاربه ..

ان شعبنا يسير بخطى ثابتة قوية نحو وحدته وتقدمه .

فوحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة هى بمثابة خطوة واسعة لخلق وتدعيم وحدة امتنا الشاملة — وهذه الوحدة الجزئية ليست فى حاجة الى شحنات عشوائية من الانفعال العاطفى — بقدر ماهى فى حاجة الى مزيد من العمل المثمر الخلاق — والايمان المطلق والتنظيم القائم على العمل الدقيق — وكذلك انعقاد المؤتمر الوطنى الفلسطينى — كل هذه التنظيمات القومية الجديدة تحتم على كل من يستطيع أن يساهم فيها بقلمه من كتابنا — ان يبدأ فورا بمعالجة قضايانا القومية وبصورة موضوعية — حتى تستطيع جماهير شعبنا أن تشارك فى خطة عمل موحدة فى سبيل وحدتها المنشودة واستعادة أرضها السليبة .

تحسين عبد الحى





اشعة ملونة
بقلم : قصي سالم علوان

● قالت احدى الطيور لصياد اخطاها : يؤسفني انني هربت منك ، اذ عندي بيض أريد احتضانه .

● بعض الناس لا يأخذ من الحمل الا قلبه وكبده ليمزقه بالاسياخ ويشويه بالنار .

● انني فلاح ، بذوره النجوم، وحصاده الكواكب السيارة .

● ماذا أرى ؟ أمشنقة أم ارجوحة أطفال ؟!

● في رأسي غرفتان ، واحدة أسكنها أنا والاخرى يسكنها الآخرون .

● لا تقل لمن يخونك ، يا كلب ! لكي لا تجرح الكلاب !

● ماذا تسمي من تفتح له قلبك فيفتح لك عينيه وأذنيه ؟

● انني أكره الري ، فالري موت ، وأنا أريد أن أموت وأنا أتحرق الى قطرة ماء ..

● اللغة تعجز أحيانا عن التعبير عن بعض ما نريد وهي أفضل وسائل تعبيرنا ، فكيف يستطيع الطفل أن يعبر عن كل ما يريد بالصراخ وحده ثم نريده لا يصرخ ؟!

● أنا لا أريد عباد الشمس .. أنا أريد الشمس نفسها .

● اذا أعطيتك قلبي كأسا فارغة فهل تستطيع أن تملأها ؟ ولكن قبل ذلك ، بماذا ؟

● يا « قانصة الذباب » أبلهاء أنت أم مصلحة ؟!

● الذي يقول : ان الحقيقة هرم ، لها أكثر من وجه واحد . أهو من هواة جمع الآثار أم من هواة جمع الحقيقة ؟

تكلم يا أبا الهول !!

● يا فمها .. أنت الطريق الى الجنة .. وأنت الطريق الى النار ..!

● الحقيقة صلبة.. ولكنها تستحيل الى سائل، مرة في دواة ، ومرة في كأس !

● ولماذا تصرين على ملء جرتك ، أيتها العزيزة؟!

وللجرة الملأى ألف حكاية وللجرة الفارغة ألف حكاية أيضا ، لا تنقصها المتعة .

● عندما تقدم لي تمرة وجمرة ، فآخذ الجمرة فلا يعني ذلك السذاجة ، وعندما آخذ التمرة فلا يعني ذلك السذاجة ، أيضا !

● الآذان فرض كفاية ، وأنا أكتفي بالقليل .

● ولماذا تسمي الصفحة البيضاء صفحة فارغة ؟! أليست هي مليئة بالنقاد ؟!

تصويب :

وقعت في قصيدتي « ثلاث أغنيات للفجر » المنشورة بالعدد الماضي .. أخطاء مطبعية ، وتداخل في بعض الالفاظ اعتذر عنه ، والأبيات مصححة هي:

والشراع الذي يرى قاطفا اشـ
راقة الضـــوء ٠ من نجـوم مثيرة
والســـلام الذي يضيء الدياجي
ويرى مطلقا عليهـــا طيـوره
لم يقف نادما على الظـــل النـو
بي ٠٠ لم ينفطر عـلى « ديدمونة »
« فعطيل » العصر الجديد اقتحـام
وازدهـــار ، وثورة مشـــحونة

كما أن عنوان الاغنية الثالثة هو « الفجـــر فى النوبة » وليس « الفجر فى السنوية ! »

عبده بدوى

العقاد والشعر الجديد

بقلم مصطفى محمود مصطفى

لفت نظرى وانا اقرا مقالة للدكتور محمدالنويهى بعدد الثقافة (٤٠) بعنوان : « العقاد ناقد الشعر » هذه العبارة التى جاءت فيهـــا : « فان تلمست فى شعرنا المعاصر شيئا يقارب ما يطلبه العقاد فلن تجده الا فى محاولات شعراء الشكل الجديد التى بدات فى العراق ثم انتشرت فى لبنان وسورية وفلسطين ومصر ، والتى نرجو لها مزيدا من الذيوع ومزيدا من الانضاج » ٠ والحقيقة اننا نظلم العقاد حينما نعتقد انه من انصار « الشعر الجديد » ، فلقد وجهت الى سيادته ــ رحمه الله تعالى ــ نص السؤال الى جريدة الاخبار بتاريخ (٢٧/٣/٦٣) بيوميـــاته التى كان يكتبها بها : « أراك تعرض طائفة من الشعر الغربى ، وتحارب نظيره من الشعر العربى الذى يســـمونه بحور العروض الموروثة لنا ٠٠ فلماذا تحفل بذلك الشـعر الجديد ٠ وهو الشـعر الذى لا تلتزم فيـه وتأبى ذاك ؟٠٠ وهذا ، مع العلم بأنى على رأيك فى محاربة هذا الشعر العربى المتجدد لخلوه من الموسيقى ولكنى أحب أن أعرف السبب فى أنك فرقت بينهما ، وهما متشابهان ، أو هكذا يبـدوان » ٠ فكان فى جلة رده « ولا نزال نعجب بالمعـانى العاطفيـة أو المعانى الوجدانية اذا قرأناها فى الكلام البليغ كائنا ما كان ٠ ولكننا نسميها « نثرا » اذا كانت بغير وزن ولا قافية ولا نرى عليها غضاضة فى ذلك ، لان بلاغة النثر مطلوبة مقدورة ، بغـير حاجة الى هدم الفن العروضى واسقاطه من الحساب ليقول الناثرون انهم شعراء ولا يرتضوا أن يقال عنهم انهم كتاب أو أدباء » ٠ وجاء فى معرض رده ، وهو يتحدث عن ذكريات الادب منذ خمسين سنة : « وكانت للشعر الجديد يومئذ معركة اشد من معركة أنصاره المهازيل فى سنواته الاخيرة ، اذ كان له دعاة من طبقة الزهاوى وشكرى ومن طبقة « البـكرى » محمد توفيق اذا نظرنا الى مثانيه ومزدوجاته كأنها دعوة متجـددة الى التصرف وحدة القافية » ٠ ووصف الاستاذ العقاد لأنصـــار الشعر الجديد بأنهم « مهازيل » يقطع السبيل على كل من يعتقد او يشك أنه من أنصار الشعر الجديد الذى وقف من أنصاره فى الايام الاخيرة موقف التشدد حتى يكاد يهم برفع العصا فى وجوههم ٠ وبالرجوع الى مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى العدد (٨٩) من (المجلة) (مايو ١٩٦٤) بعنـوان : « العقاد كما من مقالته المذكورة هذا الكلام : « وليس من الناس رايته » ما يعزز هذا الراى ويؤيده ، ونحن نقتبس من لا يعرف موقفه الصامد العنيد فى لجنة الشعر ــ بالمجلس الأعلى للآداب والعلوم والفنون ــ من الشعر الحديث » ، وجاء فى مكان آخر من المقالة : «وموقف العقاد من رفض هذا الشعر السائب صلب لا يلين ، وحجته أنه اذا كان لكل لعبة قواعدها التى لا تجوز بغيرها ، افلا يكون للفن قواعده ؟ ثم ما عيب النثر الفنى اذا ما الحق هؤلاء الثائرون أنفسهم به ؟ » ٠ وبعد ، فهذه كلمة قلتها فى معـرض الدفاع عن الحق والتاريخ ، والتحية لذكرى العقـاد العظيم احتراما وتقديرا لآرائه وافكاره الجديرة بالاعجاب والعظمة ٠

اشتراكية الثقافة

بقلم عبد العزيز محمد بسيونى

نشر بالمجلة بالعـدد الاخير رقم ٤٤ بصـفحة الكشكول رأيا لأحد السادة القراء نظرا لوجـــود سعرين للكتب التى تصدر عن الدار القومية وذلك لوجود طبقتين احداهما فاخرة والاخرى عادية للقراء وذلك بالنسبة لكتب المكتبة العربية وغـيرها من سلاسل الدار ٠

وحقيقة الوضع انه لا فرق فى الطبعة وليس هناك صنفان للورق المعروض بالسوق لجميع القراء وانما الفرق هو فرق التجليد اى تجليد عادى وهو المعروض بالسوق وتجليد فاخر ويضاف الى السعر العـادى ١٠٠ مليم قيمة تكاليف التجليد الفاخر ٠

ذلك ما لزم تصحيحه حتى يعلم القراء أن هنـاك

اشتراكية ثقافية حقة ولا تفرقة بين القراء ولا يلزم طبعة متوسطة ٠

تعقيب :

فى الاعلان عن الكتاب كلمة « طبعة » لا « تجليد » وعلى اية حال الملحظ النقدى موجود ٠٠ وهو التفرقة بين من يدفع اقل ومن يدفع اكثر ٠

ع٠خ٠

الاسلام ٠٠ دين الرفق والرافة

بقلم عيسى متولى

نشرت الصحف ان قضاة احدى المحاكم البريطانية اصدروا قرارا بالسماح لزوج من العصافير بمواصلة بناء عش لهما فوق ساعة المحكمة ، كما قرر القضاة تعطيل الساعة حتى لا يزعج صوتها العصفورين ٠٠

ذكرتنى هذه القصة بما حدث لحمامة ، جاءت ترفرف فوق رأس النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين صحبه ، خائفة منزعجة ٠٠ فقال نبى الرحمة ، صلوات الله عليه وسلامه ، لمن حوله :

ــ من آذى هذه الحمامة ؟٠٠

فقال واحد منهم : انا أخذت بيضها ٠٠ يا رسول الله ٠٠

فامره الرسول الأمين برد البيض الى مكانه فورا ، شفقة بالطائر !!٠٠

ورأى النبى ، صلوات الله عليه وسلامه ، قطة عطشى ، فأمال اليها الاناء بيـــده الشريفة ، حتى رويت ٠٠

وكان ذات مرة ياكل رطبا بيده اليمنى ، ويضع النوى فى يده اليسرى ، فمرت شاة ، فأشار اليهـا سيد الخلق فجاءته ، وبسط لها كفه ، فجعلت تاكل من النوى حتى فرغ ٠٠

ومن أحاديثه الشريفة : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض » ٠٠

وروى « أبو هريرة » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشى بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفـر له » قالوا : « يا رسول الله ٠وان لنا فى هذه البهائم لأجرا ٠ فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » ٠٠

هذه صور سريعة ، مرت بخـاطرى ، وأنا أقرأ قصة العصفورين ٠٠ تؤكد أن الاسلام دين الرفق ٠٠ والرافة ٠٠ اقتبست الشعوب من نوره أعمق المعانى الانسانية ٠٠ وأكرم المثل الخلقية !٠٠

بين اللغة والمجتمع

بقلم حسنى الطحاوى

تحقيقا لدور المجمع اللغـوى فى اداء رسالته على الوجه الاكمل الذى ننشده ونبغيه ٠ اتقدم بفكرتى التى ارى فيها ان يقيم المجمع له اسبوعا فى كل عام ٠٠ كاسبوع الكتاب العربى ٠٠ واسبوع الفيلم ٠٠ وغيره من الاسابيع المختلفة ٠٠ يستعرض فيه مجمع اللغة نشاطه اللغوى خلال عام ٠٠ الى جانب نشاطه الذى قام به منذ انشائه الى يومنا هذا ٠٠ يعـرض فيه معاجمه ومجلداته ونشراته ٠٠ وينظم طوال هذا الاسبوع الندوات والمحاضرات للحديث عن اللغة ٠٠ واصولها ٠٠ ودور اللغة فى حيـاة النـاس ٠٠ والمجتمعات ٠٠ ومركز اللغة العربية بين لغات العالم ٠٠ كما ارى أن يخصص المجمع طوال هذا الاسبوع برنامجا اذاعيا ٠٠ ولو لمدة ربع ساعة من الزمن ٠٠ يتناوب فيه اعضاء المجمـع الحـديث عن قرارات وتوصيات المؤتمر السنوى الى جوار الموضـوعات السالفة الذكر ٠٠ ما يعطى الجماهير والمواطنين فكرة عن دوره ٠٠ واغراضه واهداف رسالته ٠٠ وعما يطرح للمناقشـة فى مؤتمر المجمع السـنوى ٠

كذلك ارى أن يقوم المجمع خلال هـذا الاسبوع بنشر البحوث المبسطة فى الصحف العامة ٠٠ مايتيح الفرصة لكثير من المواطنين الوقوف على نشاطه ٠٠ ويتيح الفرصة أيضا للمصطلحات اللغوية الجديدة التى عربها ٠٠ أن تطفو على السطح ٠٠ وترى النور ٠٠ وينتشر تداولها بين الناس ٠٠ وفى ذلك خـير للغة ٠٠ ان تعرف هذه المصطلحات طريقها الى حياتنا ٠٠ بدلا من كونها محشورة فى الكتب ٠٠ لا يعرفها أحد ٠٠ ولا تعرف طريقها الى لسان أحد ٠

ليلة أولها هول وآخرها أكل شهي

للكاتب الفرنسي پول لوي كوربيه
ترجمة : أبو الخضر منسي

ليلة اولها هول وآخرها اكل شهي

شخصت يوما الى بلاد كالابريا . وهو بلد شر وعدوان ، اهله على ما اعلم لا يحبون الناس ولا يألفون احدا . وهم يحتقرون الفرنسيين خاصة ، ويهمون بهم الهموم ، ويضمرون لهم مقاصد السوء . اما ما سبب ذلك فسرده عليك يطول . ولكن حسبك ان تعلمي انهم يمقتوننا وان مراجل الحقد تغلي في صدورهم علينا حتى ليريدون بنا الهلاك ، والويل لمن يقع في ايديهم منا وسوء المصير .

وكان في رفقتي فتى يافع . والطرق في هذه الجبال وهاد وعرة . وكانت خيولنا تسير في عسر واعياء . وكان رفيقي يسير في الطليعة ، فسلك بنا شعبا ظنا مطروقا من غيره واقرب موردا ، كان فيه متيهنا . وانما انا المخطيء وعلى تقع التبعة ، اذ ما كان ينبغي لي ان اسلم مقادتي لغلام طار لم يمارس الامور . فجعلنا نستهدي طريقنا في خلال هذه الغابات والنهار لا يزال مشرقا . ولكنا كلما امعنا في البحث ، وتمادينا في التماس الهدى الى الجادة ، ازددنا ضلالا ، وكان الليل قد اسدل استاره حين صرنا على كثب من دار سوادها غربيب ، فدخلناها بداخلنا الريب والوجل، ولكن ماالصنع وما الحيلة؟ فاذا نحن لدى قوم من الفحامين قد جلسوا جميعا الى طعامهم. اما الغلام صاحبي ، فما ترك لهم ان يثنوا الدعوة الى مؤاكلتهم فاكلناهم وشاربناهم ، ولا سيما رفيقي ، اذ كنت انا انفض المكان نفضا ، وانظر في وجوه اصحاب الدار نظر المتثبت المتفرس . اما وجوههم فوجوه فحامين حقا ، ولكن دارهم تحسبينها لكثرة جنود . فما كنت يقع بصرك الا على بنادق ، ومسدسات ، وسيوف ، ومدى ، وخناجر . فما من شيء الا كان مسخطة لي ، ورايت اني قد كنت عليهم كذلك ثقلا وتنغيصا. اما صاحبي فبخلاف ذلك . لقد كان واحدا من اهل الدار يضاحكهم ، ويحادثهم . وكاشفهم في غير حذر ، كان خليقا بي ان اتوقعه من مثله ، بحقيقة امرنا : من اين قدمنا ، والى اين مقصدنا ، ومن نحن . وتصوري ذلك ! فرنسيان لدى قوم لد ، شديدي العداوة لنا ، فريدين ضالين ، ما لنا من ولي ولا نصير ، وقد عز المعين والمجير ! ثم انه ليتم على يديه كل مافيه هلاكنا وفناؤنا ، اظهر لهم الغنى ونعيم العيش الوارف ، ومنى القوم ان يدفع لهم في سعة ما يكون من النفقة واجر الدليل الى الطريق . وتكلم من بعد ذلك عن عيبته ، وسألهم ان يتعاهدوها ، وان يجعلوها مكان الوسادة من فراشه فما يبغي بها بديلا . اواه ! ايها الشبان . ان زمانكم لجدير بالرحمة. وان عهد الشباب لحقيق ان يرثى له ! لقد حسبونا ، يا ابنة العم نحمل في حقائبنا جواهر التيجان ، وما كانت الا رسائل خطيبته !

ولما تعشينا تركونا وشأننا . وكان اصحاب الدار ينامون في الاسفل ، ونحن في الغرفة العليا حيث طعمنا وشربنا . مخدع على ارتفاع سبعة او ثمانية اقدام يصعد اليه بسلم. ذلك كان مبيتنا ، شبه جحر ، او كن يلجه الوالج زحفا على البطون تحت عروق من الخشب حملت مؤنة العالم كله.وصعد اليها رفيقي وحده ورقد ، فلم ينشب ان غرق في نوم عميق ، وقد وسد راسه تلك العيبة النفيسة . اما انا فقد وطنت نفسي على السهر . فاوقدت نارا حامية ، وقعدت اصطلي ، متوسما ان الليل كله سينقضي في امنة . واخذت نفسي تطمئن . واذا انا في ساعة ظننت فيها ان النهار مطلعه قريب ، اسمع صاحب الدار وامرأته ، من تحتي ، يتحادثان ويتخاصمان . فالقيت اذني اسمع من المدخنة المتصلة بالمدخنة التي في اسفل ، فصك سمعي نفس كلمات الرجل بينة جلية اذ يقول لامرأته :

– وبعد ؟ ويحك ! .. قولي . انذبح الاثنين معا ؟ وتقول المرأة : نعم .

– ثم لم اعد اسمع شيئا .

وما عساني قائل لك ؟ لقد لبدت في موضعي اكاد لا اتنفس، وسرت في بدني برودة فكنت كحجر من الرخام : فلو شاهدتني ما علمت أميت انا ام حي . يا للهول ! حين تعاودني اليوم ذكرى ذلك ... اثنان كادا يكونان بغير سلاح ، يقاتلان اثنى عشر او خمسة عشر رجلا مدججين بالسلاح ! وهذا الرفيق الذى امسى كالموتى من نوم عميق واعياء ! ان اهبت به واحدثت جلبة فذلك ما لا جرأة لي عليه ، وان هربت وحدي فما من سبيل الى الفرار . فانه وان كانت النافذة ليست مرتفعة ، الا انه كان تحتها كلبان عظيمان لهما نباح كعواء الذئب . فصوري لنفسك ، ان استطعت ، مقدار الهول الذي كنت فيه .

ومضى على ذلك ربع ساعة كانت عندي كشهر ، فسمعت وطء اقدام تصعد السلم ، واذا بي ارى من فروج الباب ذلك الرجل وقد حمل بيد سراجا ، وبالاخرى مدية كبيرة . وكان يصعد وامرأته تقفوه وانا متوار خلف الباب . ففتح الرجل الباب ، ولكنه قبل ان يدخل ، وضع المصباح على الارض فحملته امرأته ، ثم ولج عاري القدمين . وكانت هي من الخارج تقول له مخافتة ، وقد حجبت بانامله ما انتشر من نور السراج : وئيدا ! وخفف من خطوك . فلما بلغ السلم ترقى فيه صعدا والسكين بين شدقيه . واذ انتهى عند مرتفع سرير هذا الفتى المسكين الطريح وقد بدا للذبح نحره العاري ، تناول السكين باحدى يديه ، وبالاخرى .. وي ! يا ابنة العم .. لقد جذب فخذ خنزير متدلية في سقف المخدع ، فاجتذ منها قدرة ، ومضى من حيث اتى . واغلق الباب ، وتوارى النور عني ، وبقيت وحدي نجي افكاري .

قصة العدد

الحجر الأخير

بقلم : عبد الرحمن صالح

مئات من سيارات « الماز » الضخمة التى تحمل الواحدة منها جبلا من الصخور زنته خمسة وعشرون طنا تروح وتجيء ، تملأ الارض ضجيجا هادرا ، وصخبا مروعا كأنها وحوش ما قبل التاريخ الهائلة تتصارع وتتصادم .. ومن اماكن قيادتها العالية كأبراج المراقبة بالمطار تلوح وجوه سمر حفر عليها العزم الجاد والعمل المتواصل سيماء الصلابة والاصرار والايمان ، وهم يبدون فى اماكنهم الشامخة تلك كما لو كانوا من الهة الاساطير يطلون من عروشهم العالية على رعاياهم فى كبرياء وشموخ . والسيارات تذهب مشحونة بالصخور تشق طريقها وسط صفوف من البشر وخليط هائل من العربات والالات التى تهد ذلك الشريط الرفيع الطويل من الارض الذى تم ردمه وسط النهر كجزء من السد العظيم .

والمكان كله يموج بالحركة والجلبة والضوضاء ، والعمال والمهندسون بسراويلهم الصفراء وقبعاتهم البيضاء واحذيتهم الثقيلة السوداء يختلط بعضهم ببعض لا تعرف هؤلاء من اولئك .. وبينهم يتناثر بضع عشرات من الصحفيين ورجال الاذاعة والتليفزيون تعرفهم بالعدسات التى يعلقونها على صدورهم ومن حقائب التسجيل او مفكرات الكتابة التى يحملونها بايديهم ومحاولاتهم اللحوحة الدائبة فى ملاحقة هذا او ذاك من المهندسين والعمال ليدلى لهم بحديث او يفضى بكلام مل هو تكراره من قبل عشرات المرات ولكن لم يملوا هم تدوينه وتسجيله .

والكل يتجه باهتمامه ونشاطه ناحية الفجوة التى مازالت باقية من النهر لم تغلق بعد .. فهنا تتلاحق انفاس التاريخ لاهثة فى اضطراب وخوف .. اضطراب من يكتنف حياته تغيير عنيف مفاجيء بعد طول انتظام ورتابة .. وخوف من يخشى الجديد الذى يحمل عليه حملا ، ويدفع اليه دفعا لا يستطيع منه هربا او فرارا . واليوم هو موعد اغلاق المجرى الخالد الذى شقته المياه لنفسها منذ آلاف لا عدد لها من السنين .. لتسير فى مجرى آخر شقه لها الانسان العالى عبر الصخر الاصم ليطوعها لارادته ويسخرها لنفعه ويحد من اندفاقها المجنون نحو جوف الوحش الهائل الفاغر فاه الى الابد .. النهر .

وانا جالس فوق صخرة ناتئة على حافة النهر .. امامى مياهه تتدافع فى موجات عنيفة يكللها زبد ابيض متوهج تكاد تشكله اشعة الشمس الساخنة ، ويولدها ذلك القدر العظيم من الصخور والرمال الذى تلقى به العربات فى النهر من كلا جانبى السد لتضييق الفرجة الباقية شيئا فشيئا .. وعيناى تلاحقان من بعيد هذه المعركة الدائرة بين الانسان والطبيعة .. الانسان يلقى صخوره فى المياه .. وهذه تعلن احتجاجها فى ثورة عاتية هادرة يعلو رذاذها ويلاحق من يقف على الجانبين ليضرب وجوههم ويغرق ملابسهم ، وهم لا يقابلون تلك الثورة الا بضحكات سعيدة مرحة كأن ثورة المياه ليست الا دعابة لطيفة وعبث خفيف الظل .

واشعر بشخص يندفع نحوى وهو يلهث صائحا :

ـ ياهذا المجنون ! لقد كاد يدهمنى بعربته التى تشبه الفيل الهائج ، كان فتى يافعا رقيقا من فتيان المدن الكبيرة الذين لم يألفوا حياة السد الخشنة الا على صفحات الجرائد والمجلات .. وكان يمسك بيده حقيبة صفراء كتلك التى يحملها المذيعون .. ينوء بها ذراعه كما لو كان يحمل السد كله . واجبته :

ـ ان سائق هذه العربة لا يرى من مكانه المرتفع الا البعيدين عنها .. اما القريبون منها فيجب أن يتجنبوا هم هذا الوحش والا وطئهم باقدامه .

ـ ولكنه يسير بسرعة !! ؟

ـ انهم هنا يا بنى فى صراع مع الطبيعة وسباق مع الزمن .. لا مجال للصبر والتمهل الا بالقدر اللازم للعمل نفسه . فكن حذرا حتى تعود الى اهلك كما تركتهم .. سالما معافى .

ويبتعد الفتى الغر فى تثاقل ملتزما جانب الطريق بعيدا عن السيارات وهو يتعثر فى مشيته بفعل الاحجار الكثيرة التى تعترضه ، وتعود عيناى الى الماء تتصفحه ، وتغوص نظراتها فى اعماقه باحثة فى ذهول عن .. لا شيء .

وفجاة .. ترن فى اذنى ضحكة ساخرة اعرفها جيدا ، ثم اسمع همس الصوت الحبيب .

ـ يا له من فتى مائع .. !! ليته جاء الى هنا وقت ان بدأنا العمل فى ابريل من عام ١٩٦١ ، وسار مثلما فعلنا فى دروب الجبال يقفز من صخرة لاخرى ويتخطى حجرا ليسقط على آخر ، بينما يلهبه الجرانيت الصلد بشواظ من نار ويكوى جلده

الرفيق حين يلامسه ، ويطلق خلفه افاعيه وعقاربه محاولة ان تبث فيه مخزون سنوات طويلة من السموم الناقعة .. !

وانظر الى الماء المتدافع في حيرة ، ثم ابتسم في حنان وانا اجيب :

ولكنك كنت مثله يا سمير .. عندما تركت القاهرة اول مرة لتجوب بحكم عملك الهندسي اماكن غير آهلة وغير ممهدة ... سواء في اعماق الريف او في بطن الصحراء . هل نسيت حالتك وانت تعود الى من رحلاتك الاولى ساخطا لاعنا .. تشكو وعورة الطرق ، والظلام الدامس اثناء الليل يبدد سكونه عواء الذئاب .. وافتقاركم الى حياة نظيفة نقية ؟

ـ يا لها من ايام قاسية تلك الايام يا ابى .. !! لقد كانت هزات العربة العتيقة تبلغ من العنف حدا يجعلنى افرغ كل ما في جوفي .. ثم لا بد لى من الاستمرار بعد ذلك في العمل وانا مجهد مكدود .

ـ هكذا انتم معشر فتيان المدن .. لا بد من مرور وقت طويل قبل ان تعتادوا الخشونة وتنسوا طراوة الحضر ولين الحياة الناعمة التى شببتم عليها .

ويسكت الصوت الهامس الحبيب برهة قبل ان يستانف حديثه مرة اخرى .

ـ هل ترى يا ابى قناة التحويل تلك التى تمتلىء بالماء بعد ان حولوا اليها النهر ؟ .. لقد كانت جبلا شامخا من الجرانيت . وعندما جئت الى هنا اول الامر ، ورايت ضخامته وجبروته لم اصدق اننا سنستطيع ازالته من مكانه ونحفر مجرى جديدا للنهر عمقه اكثر من ثمانين مترا وطوله ١٣٢٤٨ مترا وعرضه ٤٠,٢ مترا .. ! ؟

ـ ولكنكم فعلتم .. واحنى الجبل راسه امام اصراركم ؟

ـ لقد عاصرته وهو يزول شبرا شبرا .. وسمعته يتاوه تحت ضربات معاولنا ، ثم يتطاير في الهواء صارخا فزعا بتأثير ما كنا نفجره في انحائه من مواد ناسفة حتى يسقط بعد ذلك احجارا صغيرة وقطعا متناثرة من الصخر تتناولها الكراكات بكفاتها الفولاذية الهائلة وتشحن بها سيارات الماز الجبارة لتنقلها الى بعيد .

ـ يا لقسوة الانسان !! الم تكن قلوبكم تلين لتاوهاته وصرخاته ؟

ـ لقد كانت قلوبنا في شغل شاغل عنه بالاستجابة الى صرخات الملايين من ابناء جنسنا يطلبون مزيدا من الارض ليستنبتوا منها الطعام والحياة ... ومزيدا من المصانع تدر بالرزق والخير ، وكنا كلما زال من الجبل منسوب .. كلما علت صيحاتنا بالفرح والسعادة وزاد حماسنا لازالة ما تبقى .. فنواصل العمل بالليل والنهار حتى نشغل عن طعامنا وشرابنا وشئوننا جميعا .

ـ لقد شغلتم حتى عن اهليكم . هل انسى يوم ان جئت لزيارتك بعد ان ظللت شهورا لا تراسلنى حتى انقطعت عنى اخبارك .. فاذا بى لا اكاد اراك حتى تفلت منى لاشاهدك من بعيد معلقا فوق القمة او هابطا في اعماق القناة لا اكاد ابينك وسط الالاف من زملائك العاملين ذوى السراويل الصفراء والخوذات الحديدية والاحذية الثقيلة المغبرة .

ـ ان حياتى كلها هى هذه السنوات الثلاث التى قضيتها هنا في هذا العمل . لقد كنت اشعر ان كل ما مضى من عمرى قبلها قد ولى هباء لا خير فيه . وقد كنت اتمنى ان اعيش هنا حتى ينتهى المشروع كله .

ـ ولكنك يا بنى قد ساهمت فيه بنصيب طيب ؟

ـ كنت اريد ان اشهد هذا اليوم .. وان ارى ذلك المجرى الازلى يغلق .. وان يكون لى شرف القاء آخر حجر يسده ..

نعم .. آخر حجر .. ولكنها الدنيا القاسية .. لا تنيل المرء كل ما يتمناه .. !

ـ او قل هى الشمس المحرقة .. التى لفحتك بشواظها حتى ابعدتك عن هنا ...

ويسود صمت ثقيل .. وانظر الى الماء في ذهول وهو يتدافع في امواج سريعة صاخبة يكللها زبد ابيض متوهج تكاد تشكله الاشعة الساخنة . ومن بعيد يتناهى الى سمعى صوت المركة التى تدور بين المياه ، وبين الصخور التى تلقيها عشرات السيارات الثقيلة المثلثة .

وفجاة تلمع في راسى فكرة .. وانهض من مكانى نشيطا خفيفا قد انزاح من كاهلى عبء السنين لاسرع الى هناك .. الى الفتحة الباقية من السد وقد قاربت على الانغلاق .. واندفع نحو احد الاحجار الثقيلة احمله في يسر كما لو كانت قوة خفية قد دبت في اوصالى ، ثم اشق طريقى وسط حشد العمال ، والقى به في الفجوة الباقية من الفتحة .. واتنهد بارتياح ..

لقد كان الحجر الاخير .. القيته باسم ابنى .. ابنى الشهيد ..

عبد الرحمن صالح

الدار القومية للطباعة والنشر